تحقيق
الدكتور عبد الجليل شلبى

بداية الهداية

لحجة الإسلام الإمام الغزالى

فنادته الملئكة وهو قائم يصلى فى المحراب

بداية الهداية

لحجة الإسلام الإمام الغزالى

تحقيق

الدكتور عبد الجليل شلبى

مطبعة حسان

٢٤١ أ شارع الجيش - القاهرة ت ٨٣٣٥٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف بالكتـاب

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد

الغرض من الكتاب

بداية الهداية كتاب صغير جعله الغزالى مفتاحا لكتابـه الكبير « احياء علوم الدين » فالذين لا يجدون صبرا على قراءة الكتاب الكبير يجدون فيما حواه هذا الكتاب من توجيهـات ما يشحذ عزائمهم ويدفعهم اليه ، وقد نقل المؤلف منـه كثيرا واحال عليه فى مواضع كثيرة ، وفى ختام هذا الكتاب دعا قارئه ان يرجع الى كتاب الاحياء ، أملا منه أو ثقـة ، بان هذه الأوليات التى ذكرها تدفع الى طلب المزيد منها .

بداية التصوف

وكلمة « بداية الهـداية » ـ تعنى بداية الطريق الى العبادة الصحيحة ـ الكاملة . والسلوك الاسلامى القويم ، وذلك ما تقوم عليه صلة العبد بربه ، ويرجو به لديه القبول ، وهذه هى بداية التصوف . وهو هنا ، كما فى « كتاب الاحيـاء » يرى ان العبادة الكاملة المستوفاة الأركان والشرائط ، القائمـة على الاخلاص لله تعالى هى أول ما يجب ان يبدأ به رائد هذا الطريق ، ولهذا صدر بها الكتابين ، وضمن العبادات بـاب

العلم ، لأنه رأى اشتغال الناس بعلوم الدنيا واتخاذهم العلم وسيلة للكسب صار غالبا فى عصره ، فبين ما ينبغى أن يطلب من العلم ، وما يجب أن يكون عليه العلّم والمتعلم ، وشكا حال نفسه فى كتاب المنقذ من الضلال أنه لم يستطع التخلص من ابتغاء الجاه عن طريق العلم .

واداء الفرائض كاملة - فى نظره - يدفع الى استقامة السلوك والى المزيد من النوافل ، وبها يظفر العبد برضا مولاه ومحبته . طبقا لما جاء فى الحديث القدسي : « ولايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه » .

وكما خصص فى كتاب الاحياء ربعا لبيان المهلكات التى تلوى زمام الشخص عن طريق الحق ، فيفنى عمره فى عمل غير نافع ، خصص هنا قسما للمعاصي التى بها تصدأ الروح ، ويقسو القلب ، وتنشأ الغفلة عن واجب العبد نحو ربه ، والكسل عن أداء العبادات أو الاستهانة بارتكاب المحرمات .. وختم الكتاب بحديث غاية فى الروعة والبهاء ، وهو صلة العبد بالخالق وصلته بالمخلوقين ، وما يجب أن يعمله لتقوية هذه أو تلك .

ما يرجى من هذا العمل

هذه الخلاصة التى حواها هذا الكتاب جديرة ان تلفت ذهن قارئة وقلبه ، وأن تترك به أثرا قويا من معانى

العبودية لله تعالى ، كما أنها خليقة بتهذيب كثير من نوازع الغرائز الدينية ، وتكوين عاطفـــة نبيلة لديه ، يزدان بها ويسمو فى حياته الدنيا وينال مغفرة الله وفضله بالرحمـــة ، ولئن كانت هذه صورة من نفس الغزالى العازفة عن الدنيـــا والطامحة الى ما عند الله ، انه يعطى صورة عما عاناه فى عصره من اضطراب الأحوال السياسية والاجتماعية ، وما كان من عداء مرير بين السنية والشيعة الباطنية وهذا ما اضطره أن يؤلف كتابا فى « فضائح الباطنية » وأن يرد عليهم فى مواقف كثيرة أخرى ، وهو يبدى أسفا بالغا لأحـــوال المتفقهة الذين يجارون الحكام ولا يردونهم ، والذين يتخـــذون من علمهم وسيلة لمرضاتهم ونيل الجاه بالقرب منهم ٠

عصر الغـــزالى

واذا نحن ألقينا نظرة على العـــالم الاســـلامى عصر الغزالى ـ النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى ، وجدنا أنه كان فى حال يرثى لها ، حال من يكون فى النزع الأخـــير من حياته ، به حشرجة أنفاس وحركة أطراف ، ولكن دماءه منزوفة وقواه منهوكة ، وأبناؤه على خلاف جعل بأسهم بينهم شديدا ، ولا بأس منهم على أعدائهم ٠

كانت الـــدولة الفاطميـــة قد ثبتت أقدامهـــا فى الغـــرب وزحفت نحو الشرق وقام لها فى مصر سلطان ، واســـتبد بنو بويه بالسلطان فى فارس والعراق ، بينما استبد بنو حمدان

بالجزء الشمالى من بلاد الشام ، وبقى الخليفة العباس هيكلا لا روح فيه ، يدعو له فى خطبة الجمعة قوم ويدعو عليه آخرون .

كان القائم بأمر الله آخر خليفة عاش تحت سلطان البويهيين ، وكان « البساسيرى » القائد الحربى التركى ذا نفوذ آخر يخضع له الخليفة ، ولا يجرؤ على مخالفته مهما عمل . وكانت حملات التتار قد ظهرت فى الأفق الشرقى ، ومضت جيوشهم كالسيل المنهمر تحطم كل ما تلاقى .

وفى سنة ٤٤٧ (١٠٥٥) ـ قبل ان يولد الغزالى بثلاثة اعوام ـ وصل زحف الاتراك السلاجقة ، الى بغداد ، ولم يصمد لهم البساسيرى بل فر الى الفاطميين ، وتنفس القائم بأمر الله الصعداء ، واعتبر طغرل بك القائد السلجوقى منقذا له ، فرحب به واستقبله استقبالا رائعا ، لبس بردته ـ بردة النبى ﷺ ـ الموروثة وأمسك العصا . عصا النبى أيضا ـ بيده ، وجلس على منصته من وراء ستار ، فلما وصل طغرل رفع الستار ، ووقف الخليفة لاستقباله ، واعد له كرسي بجانب المنصة ، وخلع عليه الخليفة لقب «ملك الشرق والغرب» وكان ذلك ايذانا بانتقال الدولة من عهد بويهى الى عهد سلجوقى ، وأيضا بانتقالها من مذهب شيعى الى مذهب سنى ، وأقام طغرل فى بغداد اياما ، ولم يكن فى نيته ان يتخذها عاصمة له ، ثم انتقل الى الشمال فى سنة ٤٥٠ لمواصلة اعماله الحربية ، فانتهز البساسيرى هذه الفرصة وهجم على بغداد

بجيش امده به الفاطميون ، فاستولى عليها ، وعمل عـــلى الحاقها بالدولة الفاطمية ، ولم يسع الخليفة المســـكين الا ان يكتب تنازلا نهائيا عن الخلافة ، وأن يقلدها الخليفة الفاطمى المستنصر ، وارسل اليه اشارات الخلافة - البردة والعصـــا والعمامة - وبلغت به الذلة أن يوافق على خلع شـــباك من قصره ارسل الى القاهرة ليحتفظ به الفاطيون تذكارا لهـــذا قصره أرسل الى القاهرة ليحتفظ به الفاطميون تذكارا لهـــذا الانتصار .

وبعد عامين عاد طفرل من حروبه، فقتل البساسيرى(١) وشتت أعوانه ، واعاد الخليفة الى كرسيه ، وبذا اســــتقرت الدولة السجلوقية فى العراق وعملت على احياء المذهب السنى والقضاء على المذهب الشيعى .

هذا مثل يبدى مدى ما كانت عليه حـــــال الدولة من اضطراب ، وبطبيعة الحال كانت الحال الفكرية بين المذهبين ينتابها هذا المد والجزر .

---

(١) كان البساسيرى مملوكا لبهاء الدولة بن عضد الدولة ، وقدمه القائم على جميع الاتراك ، فعظم أمره ، ثم خرج على القائم وطرده من بغداد ، وخطب للمستنصر الفاطمى ، فلجأ القائم الى أمير العرب اذ ذاك محيى الدين ، فآواه حتى أعاده طفرل بك .

والبساسيرى نسبة الى بلده فى فارس تدعى بسا ، والعرب يجعلون الباء فاء - كما فى أصبهان - وينسبون اليها فســـوى ، ومنها أبو على الفارسي النحوى ، والفرس يقولون فى النسبة اليها بساسيرى ، وهى نسبة شاذة ، وكان أرسلان منها وبقى له اسمه الأعجمى .

(انظر وفيات الأعيان ١/١٩٢ - ٩٣)

وكان مقر السلاجقة فى بلاد فارس ، وكانت عاصمتهم مرو واصفهان ، ثم انتقلوا الى بغداد سنة ٤٨٣، قبيل موت ملكشاه ، وهو ابن الب ارسلان وهما أشهر سلاطين السلاجقة.

نظام الملك

ويزداد ان تاريخ الدولة السلجوقية بالوزير الذائع الصيت نظام الملك ، وهو وزير نادر المثال فى التاريخ الاسلامى كله ، كان له اصلاحات واعمال فكرية عظيمة ، وتاريخية يطول ذكره ،ولكننا نذكر من اعماله ما له صلة بالامام الغزالى، وقد كان ذا منزلة لدى كل من الب ارسلان وابنه ملكشاه الذى حكم عشرين عاما ترك فيها السلطة الهامة لنظام الملك . وابرز اعمال هذا الوزير هى انشاؤه الأكاديميات العلمية للدراسات الاسلامية العليا ، ووصف ابن جبير هذه المدارس واثنى عليها، وكانت المدرسة الأم فى بغداد ، ولكن كان بنيسابور وبعض المدن الأخرى مدارس نظامية (٢) ، وقد درس الغزالى فى مدرسة بغداد ثم فى مدرسة نيسابور ، ومن المؤسف أن هذا الوزير اغتيل سنة ٤٨٥ (١٠٩٢) بايدى بعض الباطنية من الاسماعيلية الحشاشين ، وقد يكون هذا واضحا لأنه اشاع

---

(٢) فى هذه المدارس لاول مرة اخترع نظام المعيد ـ الذى يشرح ثانيا محاضرة الاستاذ ويحل غوامضها ، وهو نظام امتد بعد ذلك ، ولم تغلق المدارس النظامية بزوال عهد السلاجقة ومجىء التتار ، وعلى نظامها انشأ صلاح الدين مدارسه العديدة وبها تأثرت الجامعات الاوروبية.

المذهب السنى الاشعرى فى المدارس النظامية ، وحارب مع السلاجقة مذاهب الشيعة ، ولكن قيل أيضا ان ملكشاه كان له يد فى تدبير اغتياله ، ذلك لأن الخليفة المقتدى بالله (٤٦٧ - ٤٨٧) كان على صلة قوية بنظام الملك جعلت السلطان ملكشاه يتخوف عاقبتها ، وقد كان له أعداء فى حاشية السلطان يحقدون عليه هذه الصلة ، ومع ذلك لم تطل حياة ملكشاه بعدهالا شهرا واحدا وبضعة أيام ، ويقال ان الخليفة المقتدى دس عليه السم .

صدى هذا الاضطراب فى نفسه

وهذا مثل آخر يبدى مدى الاضطرابات فى بيئة الحاكم السلجوقى ، وقد كان الغزالى على صلة قوية بالوزير والسلطان والخليفة ، وهذا ما جعل بعض الباحثين (٣) يعزو رحلة الغزالى من بغداد الى تخوفه من هذه الأحداث ، والعداء بينه وبين الباطنية أشد واقوى ، ولسنا نرى هذا الرأى ولكن نرى أن حديث الغزالى عن الصحبة ، وشكواه المتكررة من المعلمين والمتفقهين ترتبط بهذه الاضطرابات ، كما أنها تفسر نصائحه ووصاياه لمن يخالطون السلطان ، وهى قريبة مما جاء فى رسالة الصحابة لابن المقفع ، وهو بوجه عام حديث تمتزج فيه التجربة الشخصية بالفكر الفلسفى ، والغزالى فيلسوف ومرب ونصائحة فى هذا الموضع مما ينشده علم التربية الحديث ،

---

(٣) هو الاب اليسوعى فريد جبر .

ومن الجميل فيه انه لم يقف عند الآداب الدينية الخاصة ، بل عنى أيضا بآداب اللياقة وحسن المظهـــر ومكونات الشخصية السليمة .

عناية المستشرقين بدراسة الغزالى

وقد عنى المستشرقون كثيرا بدرس حياة الغزالى وتفكيره وتراثه الفكرى وقدموا فى هذا ما لم يعمـــله الشرقيون ، وما لاغنى لهم عنه ، وبرزت هذه الدراسة التى نعنى بتحقيق مؤلفاته ، وغربلة تراثه الضخم منذ مايقرب من قرن ونصف القرن ، فنفت عنه بعض كتب منســوبة اليه ، وتشككت فى بعض آخر ، غير ان المستشرق الفرنسى المعنى بالتصــوفه الاسلامى ـ لوى ماسينون أعرض عن هذا المنهج ، وهمــه أن يقسم حياة الغزالى الى فترات ، وان يعزو لـــكل فترة ما يناسبها من كتبه ، ويبدو ان هذا المنهج فتح طرقا اخرى لتقسيم حياة الغزالى ، وترتيب كتبه ترتيبا زمنيا ، ونخص ممن اخذوا بمثله فى هذا المنهــج الآب « موريس بويج » ، فقد عنى بوضع كتاب ضخم عن « الترتيب الزمنى لمؤلفــات الغزالى » عدا ما كتب عنه من قبل ، ولكنه مات ولما يظهــر هذا الكتاب ، حتى عثر عليه تلميذه الآب « ميشــيل آلار » فاشرف على اخراجه وزاد عليه واخرجه باللغة الفرنســية ١٩٥٩ م ، بمناسبة مرور ٩٠٠ سنة على وفاة الغزالى .

ونذكر المستشرق الانجليزى « مونتو جــومرى وات »

وهو صاحب مؤلفات اسلامية عديدة ، فقد وضع معايير للنقد الباطنى لمؤلفات الغزالى ، وهو نقد ليس ببعيدا عما عمل ماسنيون ، اعتمد فيه على درس مادة كل كتاب ، ووازن بينها وبين الظروف التى عاشها الغزالى ، وبهذه المقاييس نفى بعض الكتب . مثل « ميزان العقل » فقد راى ان حججه لا تبدو منطقية ذات أقيسة منتجة - مع أن الغزالى يعتمد على العقل والمنطق السليم ، وهو ايضا لا يناسب حياة الغزالى الأولى لأن افكاره لا تلائمها ، وفى أواخر حياته ، كان قد اقتنع بقصور العقل وانه لا يعتمد عليه الا فى أشياء خاصة .

وبهذا القياس نفى من كتاب « بداية الهداية » قسمه الثالث الخاص بالصحبة ، وقد راقه الكتاب بما فيه من تعاليم صوفية ، فنقله الى اللغة الانجليزية ، ولم ينقل هذا الجزء الثالث ، غير ان الحجج التى أبداها ليست ذات قوة كافية الدلالة فى أنه دس على الكتاب ما ليس من عمل الغزالى ، وأقوى ما جاء فى حججه أن هذا الجزء ليس قوى الصلة بما قبله ، وان هناك فجوة أو ما يشبه الفجوة بينه وبين ما سبقه ، وهذه ليست طريقة الغزالى ، لاننا نجد كتاب الاحياء مرتبا ترتيبا منطقيا به يبدو مترابط الموضوعات .

ولكننا اذا لاحظنا أن الكتاب وضع ليكون بداية الخطوات لمن يريد ان يسلك طريق التصوف ، وأنه مفتاح لكتاب الاحياء ، ومعظم مواده مستخلص منه ، نجد ان ترابط مواد الكتاب ، وبناء بعضها على بعض ليس ضروريا لانه انتقى

موضوعات وافكارا معينة راى انها ضرورية للمبتدئين ، ومع ذلك لم يستقص هذه الموضوعات ، واحال على كتاب الاحياء ، وفكرة الصحبة مع الخالق والمخلوقين ليست بعيدة عن المنهج الصوفى ، وهى ايضا ليست غريبة على تفكير الغـزالى ولم يخل كتا ب الاحياء منها .

وقد ترجم الدكتور « هل » الألمانى هذا الكتـاب كله الى اللغة الألمانية ولم يبد شكا فى هذا الجزء ، كذلك نجـد المستشرق الألمانى الكبير « بروكلمان » يثبت الكتاب كله دون اى تحفظ ثم نجد « فان ليون » يعترض على وات ويخطئه فى اغفال هذا الجزء عن الترجمـة وتشككه فيه ، وبذا نرى أن الكتاب كله من عمل الغزالى .

وقد ترجمت كتب الغزالى الى اللغات الاوربية قبل سنة ١١٥٠ م ، وكان لها اثر قوى فى الفلسفة اليهودية والمسيحية فى العصر الوسيط ، وتأثر به توما الاكويثى وباسكال عـلى الأخص (٤) .

وليس من همى ان اقيم دراسـة واسعة حول مؤلفـات الغزالى وحياته بل اكتفى بوضع بعض الملامح والخطـوط لمحة من حياته الرئيسية لها .

ولد ابو حامد ـ محمد بن محمد ـ الغزالى فى مدينة طوس سنة ٤٥٠هـ (١٠٥٨)وطوس مدينة كبيرة فى خراسان

---

(٤) انظر تاريخ العرب لحتى ترجمة محمد مبروك ص ٥٥٠

تقوم مكانها الآن قرية مشهد ، وقد مات الغزالى ودفن فى هذه المدينة نفسها سنة ٥٠٥ (١١١١)م ، وكان بها قبر الامام الرضا وقبر الخليفة هرون الرشيد ، ولعل وجود هذه المقابر وبعض المزارات الاخرى كان السبب فى انشاء مدينة « مشهد » - على انقاض طوس - فهذه كانت دمرت نهائيا سنة ٦١٧هـ بايدى المغول ، وظلت اطلالا دارسة حتى القرن الثامن الهجرى ، فاعيد بناؤها باسم مشهد ، ولا تزال بها قبور هؤلاء الثلاثة العظام وقبور بعض ائمة الشيعة .

تلقى الغزالى مبادىء تعليمه فى طوس ودرس الفقه الشافعى ، ثم رحل الى جرجان ليدرس على أبى نصر الاسماعيلى ، ولكن اهم اساتذته هو امام الحرمين الجوينى ، وقد توفى سنة ٤٧٨ ، وخرج الغزالى الى المعسكر - وهى ساحة بجوار سابور كان الجند يدربون بها - فلقى هناك الوزير العظيم الذى اشرنا اليه - « نظام الملك » - وهناك ناظر بعض الائمة من الشيعة الباطنية وانتصر عليهم انتصارا لمع به اسمه ، وعرض عليه الوزير أن يدرس بالمدرسة النظامية ببغداد ، فعمل بها اربعة اعوام (من اواسط ٤٨٤ حتى اوائل ٤٨٩) . ولكن أزمته الروحية بدات تلح عليه وتشتد فلم يستطيع مقاومتها أكثر من ستة اشهر ، ثم عهد الى اخيه احمد بوظيفته ، وقام هو برحلته التى استغرقت نحو اثنى عشر عاما .

قام برحلته متخفيا خوفا ان يمنعه الخليفة من السفر للحاجة الى علمه ، فتظاهر انه يريد الحج وهو يريد دمشق ،

فأقام بها نحو عامين معتكفا في منارة المسجد ، يغلق بابها عليه ، ويشغل نفسه بالرياضة والمجاهدة فى تزكية النفس ، وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب لذكر الله ، وفقا لما يحصل من علم التصوف - ثم رحل الى بيت المقدس ، فكانت خلوته فى قبة الصخرة ، ثم حج وزار رسول الله ﷺ ثم نازعته نفسه أن يعود الى وطنه - اذ ثار في نفسه الحنين اليه ، وشاقه أن يرى اطفاله وأسرته .

هذا ما ذكره هو فى كتابه « المنقذ من الضلال » لكن جاء فى كتب التاريخ أنه زار مصر والاسكندرية ، وانه كان يريد السفر الى المغرب لمقابلة الامير يوسف بن تاشفين ، فبلغه نعيه فى سنة ٥٠٠هـ فلم يرحل اليه . ولكن لا تبدو انه حضر الى الاسكندرية أو مصر اصلا ، لانه فى هذه السنة كان فى خراسان

ازمته الروحية :

وما هذه الأزمة التى طرأت ؟

لم تكن - كما ظن بعض المحدثين - شكا فى شيء من أمور الدين ، وانما كانت فى واقعها بحثا عن طريق الخــــلاص والتفرغ الى ما ينجى فى الدار الآخرة .

وخلاصة ما ذكره فى هذا ، انه درس الفلسفة فاخذ منها ما أخذ ورد منها ما رد ، ثم وجد الشيعة والباطنية يقومون بدعاوى بعيدة عن الدين . فاخذ يناظرهم ويرد عليهم ، وكانت

طريقته ان يذكر فكرتهم ، وان يوضح ما يريدون منها ـ ثم ينحى عليها بالرد والتفنيد ، وقد لامه بعض عارفيه فى توضيحه أفكارهم توضيحا لم يكن فى ذهنهم ، ولا كان فى طاقتهم أن يعرضوا افكارهم بهـــذا الاسلوب وهو فى الواقع لم يقتنع فى افحام الشيعة بما كتب فى فضائح الباطنية ، ومهما افادوا من طريقته فى عرض افكارهم وتجسيم معانيهم فان ردوده عليهم مفحمة جارحة ، والفاظه جريئة مسفهة ، فلما فرغ من هذين الجانبين ـ وهما محور تفكيره ، واستفرغا أهم كتبه ـ اتجه الى طريق الصوفية ، وهى فيما صورها ..... قطع عقبات النفس ، والتنزه عن أخلاقها المذمومة ، وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها الى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله (٥) ـ ووجد أن منهجهم يقوم على علم سهل التحصيل وعمل شاق شديد المشقة على النفس ، فأخذ نفسه بالمجاهدة ، وكان قد خرج من رحلة دراسته ومجادلاته بثلاثة اشياء ، كانت عدته وذخيرته أثناء تفكيره الطويل ، وهى : ايمان يقينى بالله تعالى ، وبالنبوة وباليوم الآخر ، ـ قال : « فهذه الاصول الثلاثة من الايمان كانت قد رسخت فى نفسي ، لا بدليل معين محرر ، بل بأسباب وقرائن وتجاريب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها » (٦) .

---

(٥) المنقذ ٤٤ . طرق الصوفية جـ ١٣٩ بشرح د . عبد الحليم محمود

(٦) نفسه .

منهجه الصوفي :

ورأى أن الوصول الى مراقى الصوفية لا يتم الا بالاعراض عن الجاه والمال والهرب من الشواغل الدنيوية ، ورأى نفسه منغمسا فيها ، وتدبر اعمـاله ـ وافضلها فى نظـــره وأيسرها توصيلا الى الله هو التدريس والتعليم ـ فرأى أن يدرس مواد لا نفع لها فى الآخرة ، وان نيته فيها غير خالصة لله ، بل هو يبغى من وراء عمله جاها وصيتا ، فخيل اليه انه على شفا النار ما لم يتدارك نفسه .

رحلتـــه

فعزم على الخروج من بغداد . ليبعد عن عارفيـــه من ذوى السلطان وغيرهم ، وليفرغ الى العبادة ، ولكنه وجد فى نفسه ترددا ، وظلت خواطره تتضارب بين الهم والقعود طوال ستة شهور أو نحوها أولها رجب ٤٨٨هـ ، وهنا بلغت ازمتـه قمتها ، فاعتقل لسانه عن التدريس ، وكان يحاول ارضـــاء طلبته بشيء فلم يستطع ، وتبع ذلك سوء صحته وعزوفـــه عن الطعام والشراب ، وذهب الناس فى تعليل هذه الحـــال مذاهب شتى ، ولم يكن له بد من تدبير طريقـة يفلت بها من بغداد فقام برحلة استغرقت عشرة اعـــوام ، وانكشف له فى اثناء الخلوات أمور لا يمكن احصاؤها ، واقنعته مجاهداته ان طريق الصوفية هى الطريقة المثلى للنجاة .

عودته الى بلده :

مر الغزالى فى عودته الى طوس ببغـــداد حيث قابله ابو بكر بن العربى ، ولكنه لم يقم بها طويلا ، ولم يدرس

بالمدرسة النظامية بها ، ولكنه درس فى نظامية نيسابور بطوس . وآثر فى بلده العزلة أيضا وتفرغ للعبادة ، فأمضي تسعة أعوام يعانى حوادث الزمان وضرورات المعاش ، مما ينغص عليه صفو عزلته - وكانت فتن السياسة ، وتدبيرات الباطنية الخبيثة أهم هذه المنغصات .

اضطراب آخر :

كان أرسلان أرغون أخو السلطان ملكشاه على نيسابور ، فقام سنجر ابن أخيه بغارة عليه وانتزع نيسابور منه ، واتخذ أبا الفتح على بن الحسين الطغرانى وزيرا له ، ثم عزله ، ثم اتخذ فخر الملك - على بن نظام الملك - وزيرا له سنة ٥٤٨

فى مدرسة نيسابور :

وهو الذى الح على الغزالى ان يدرس فى نظامية نيسابور ، فاستجاب له ، غير ان الباطنية اغتالوا فخر الملك سنة ٥٠٠ - ويبدو ان الغزالى ترك التدريس بالنظامية بعد ذلك ، اما سنجر فقد عين سلطانا على خراسان فلم يستقم له الامر طويلا اذ هجم الغز على بلاده واسروه ، فلما افرج عنه أبدى محاولة لاستعادة ملكه ولكنه مات سنة ٥٠٢هـ

من هذا نجد ان الايام الاخيرة من حياة الغزالى كانت

أيام اضطراب وفتن حقا ، وقد لجأ إلى بيته ، واتخذ بجانبه مدرسة للطلبة ، وخلوة للصوفية وتفرغ لتلاوة القرآن ومجالسة الصوفية • وتوفى فى جمادى الآخره سنة ٥٠٥هـ وليس له عقب من الذكور ، وترك كتبا اختلف مؤرخوه فى حصرها فوصل بها بعضهم الى ٥٨ كتابا ، ووصل آخرون بكتبه ورسائله الى ما يزيد على ٤٥٠ ، وهذا ما شمر له المستشرقون ساعد الجد وجعلوا ينشدون المقابيس العديدة لتمحيص هذا التراث وتمييز ما هو صحيح النسبة أو زائفها اليه •

ما دفعنى لنشر هذا الكتاب :

وقد دفعنى الى اخراج « بداية الهـــداية » ما لمسته من طغيان الروح المادية على حياتنا فى مختلف جوانبها ، وبين جميع طبقاتنا حتى من يتوقع منهم أن يكونوا قادة روحانيين، ورأيت أن شبابنا الاسلامى بحاجة الى ايقاظ المعانى الروحية فى نفوســهم ، والاتجاه بهم الى هـــذا المنهج التربوى الذى تتسامى به غرائزهم ، وتتنزه أنفسهم عن الدنايا والهفوات التى يتردى فيها الكثيرون ، وفيما مربى من قراءاتى عن الشخصيات العظيمة فى التاريخ استطيع أن اقول انهم منحوا حظا من التربية والفطره السليمة به تسامت غرائزهم ، واستطاعوا أن يخضعوا أهوائهم وشهواتهم لتوجيه عقولهم ، وعباداتنا كلها تدور على هذا المحور ، والافراد والمجتمعات تسمو وترقى بهذا أيضا • فكما أن شر الافراد هو الشخص الباحث عن المادة ، المتهاون فى طلب المعنويات ، الفقير فى الجوانب الروحية ،

شر المجتمعات أيضا هو المجتمع الذى تسوده هذه الصفات .
وقد رجوت ان يكون هذا الكتيب الموجز السهل ، مما لا يشق على النشء قراءته ، وأنه سيدفع بقرائه الى العلم والعمل معا ، ثم يكون مفتاحا لقراءة أخرى .

واخيرا هو عمل متواضع أتوج به عمرا مضي فى اللهو واللعب ، ولعل الله ـ سبحانه ـ أن يتقبله منى على ضآلة ، فما ننشد رضاه بأعمالنا ، وانما ننشده بحسن نياتنا وانابتنا اليه ، وهو سبحانه واسع الرحمة والمغفرة .

ليس تحقيقا علميا :

ولم اعن نفسي فيه منهج التحقيق العلمى ، وقد كان أمامى مجموعة من نسخ هذا الكتاب احداها لبعض الاقارب المتوفين ، وهى مراقى العبودية للشيخ محمد نووى الجاوى ، وبضع نسخ فى مكتبة الازهر ، وبينها اختلافات قليلة فى الفاظها ، ولكنها لا تختلف فى مضمونها واهدافهـا ، فرأيت أن الموازنة بينها تزيد حجم الكتاب ، وتجعله أثقل على قارئه ـ وهـذا يخص العالم الباحث ولا يفيد القارىء المبتدىء (المريد) ـ ثم لم أجد داعيا لتخريج أحاديثه ، وكلها الا ماندر مذكورة فى كتاب الاحياء وعليها تخريجاتها للحافظ العراقى ، وهى أيضا لاتعنى الا بعض القارئين . ثم جعلته زهيد الثمن رغبة فى سـهولة اقتنائه ونشره .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة حجة الاسلام وبركة الأنام :
أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسي ، قدس الله روحه
ونور ضريحه

آمين

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على خير خلقه ، محمد رسوله وعبده ، وعلى آله وصحبه من بعده ، — اما بعد — فاعلم أيها الحريص المقبل على اقتباس العلم (٧) المظهر من نفسه صدق الرغبة ، وفرط التعطش اليه ، أنك ان كنت تقصد بالعلم المنافسة والمباهاة والتقدم على الأقران واستمالة وجوه الناس اليك وجمع حطام الدنيا ، فأنت ساع فى هدم دينك واهلاك نفسك ، وبيع آخرتك بدنياك فصفقتك خاسرة ، وتجارتك بائرة (٨) ، ومعلمك معين لك على عصيانك وشريك لك فى خسرانك ، وهو كبائع سيف لقاطع طريق (٩) ، كما قال ﷺ : من أعان على معصية ولو بشطر كلمة كان شريكا فيها

---

(٧) جاء فى بعض النسخ اقتناص العلم ، أى صيده ، وهو يريد من محصل العلم أيا كان نوعه أن يتجه به الى مرضاة الله ونفع الناس

(٨) أى لانك حصلت على شيء زائل ، وتركت نعيم الآخرة المقيم فبذلت جهدا فى شيء زائل فهى تجارة غير رابحة .

(٩) لانه أعطاك علما تضر به ، وجاء فى الحديث : « واضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجواهر واللؤلؤ والذهب .

وان كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالى من طلب العلم الهـــداية دون مجرد الرواية ، فابشر فان الملائكة تبســط لك اجنحتها اذا مشيت ، وحيتان البحر تستغفر لك اذا سعيت (١٠) ولكن ينبغى لك ان تعلم قبل كل شيء أن الهداية التى هى ثمرة العلم لها بداية ونهاية ، وظاهر وباطن ، ولا وصول الى نهايتها الا بعد احكام بدايتها ، ولا عثور على باطنها الا بعد الوقوف على ظاهرها ، وهأنا مشير عليك ببداية الهداية لتجرب بها نفسك وتمتحن بها قلبك ، فان صادفت قلبــك اليهــا مائلا ، ونفسك بها مطاوعة ، ولها قابلة ، فدونك التطلع الى النهايات والتغلغل فى بحار العلوم ، وان صادفت قلبك عند مواجهتك ايانا بها مسوفا(١١) وبالعمل بمقتضاها مماطلا ، فاعلم أن نفسك المائلة الى طلب العلم هى النفس الأمارة بالسوء ، وقد انتهضت مطيعة للشيطان اللعين ليدليك (١٢) بحبل غروره فيستدرجك بمكيدته الى غمرة الهلاك (١٣) ، وقصده أن يروج عليك الشر فى معرض الخير حتى يلحقك بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (١٤) ، وعند ذلك (١٥) يتلو عليك الشيطان فضــل

---

(١٠) كل ذلك كناية عن رضا الله

(١١) لا يقبل عليها بنشاط ويؤجل العمل بها ٠

(١٢) يخدعك ويورطك ٠

(١٣) غمرة الشيء معظمه ٠

(١٤) اقتباس من الآية ١٠٤ سورة الكهف ٠

(١٥) عند ارادته غرورك يذكرك بفضل العلم لتقبل عليه ، وينسيك واجب العالم فيبعدك عن الله ٠

العلم ودرجة العلماء وما ورد فيه من الاخبار والآثار . ويلهيك عن قوله ﷺ من ازداد علما ولم يزدد هدى ، لم يزدد من الله الا بعدا (١٦) ، وعن قوله ﷺ : أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ، وكان ﷺ يقول : اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع وعمل لا يرفع (١٧) ودعاء لا يسمع » . وعن قوله ﷺ : مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقارض (١٨) من نار ، فقلت : من أنتم ، قالوا : كنا نأمر بالخير ولا نأتيه (١٩) ، وننهى عن الشر ونأتيه (٢٠) فاياك يا مسكين أن تذعن لتزويره (٢١) فيدليك بحبل غروره ، فويل للجاهل حيث لم يتعلم مرة واحدة ، وويل للعالم حيث لم يعمل بما عمل ألف مرة .

واعلم أن الناس فى طلب العلم على ثلاثة أحوال : رجل

---

(١٦) لأن علمه يبعـــده عن التفكير فى الآخرة ، وقـد تكون أداة للايذاء .

(١٧) لا يرفع الى الله رفع قبول ، لأنه لم يعمل لوجه الله ، أو لانفع فيه

(١٨) جمع مقراض آلة القرض والقطع ، كونها من نار أشد ايلاما

(١٩) الأمر بالخير عمل نافع لا عقوبة عليه ، ولكنهم يعاقبون على ريائهم ونفاقهم .

(٢٠) ورد هذا الحديث بصورة أخرى : « رأيت ليلة اسرى بى رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، فقلت من هؤلاء يا جبريل ، قال هؤلاء الخطباء من أمتك يامرون الناس وينسون أنفسهم ، وهم يتلون الكتاب .

(٢١) تزوير الشيء تزيينه وتحسينه .

طلب العلم ليتخذه زاده الى المعاد ، ولم يقصد به الا وجه الله والدار الآخرة ، فهذا من الفائزين ، ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة ، وينال به العز والجاه والمال ، وهو عالم بذلك مستشعر فى قلبه ركاكة حاله (٢٢) وخسة مقصده ، فهذا من المخاطرين (٢٣) فان عاجله اجله قبل التوبة خيف عليه من سوء الخاتمة ، وبقى أمره فى خطر المشيئة ، وان وفق للتوبة قبل حلول الأجل ، وأضاف الى العلم العمل ، وتدارك ما فرط منه من الخلل ، التحق بالفائزين ، فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ورجل ثالث استحوذ عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة الى التكاثر بالمال ، والتفاخر بالجاه ، والتعزز بكثرة الاتباع ، يدخل بعلمه كل مدخل رجاء أن يقضي من الدنيا وطره (٢٤) ، وهو مع ذلك يضمر فى نفسه انه عند الله بمكانة ، لاتسامه بسمة العلماء ، وترسمه برسومهم فى الزى والمنطق ، مع تكالبه (٢٥) على الدنيا ظاهرا وباطنا ، فهذا من الهالكين ، ومن الحمقى المغرورين ، اذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه أنه من المحسنين ، وهو غافل عن قوله تعالى : « يايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون » (٢٦) وهو ممن قال فيهم رسول الله ﷺ : انا من غير الدجال اخوف عليكم من

---

(٢٢) ضعف موقفه حيث لم يكن عمله كله لله .

(٢٣) المتعرضين للخطر .

(٢٤) حاجته .

(٢٥) تهافته وترامیه .

(٢٦) سورة الصف الآية ٢ .

الدجال » فقيل : وما هو يارســـول الله (٢٧) ، فقال علماء السوء (٢٨) ، وهذا لان الدجال غايته الاضلال ، ومثل هـــذا العالم وان صرف الناس عن الدنيا بلسانه ومقاله فهو داع لهم اليها بأعماله واحواله ، ولسان الحال افصح من لسان المقال ، وطباع الناس الى المساعدة فى الاعمال أميل منها الى المتابعة فى الاقوال ، فما افسده هذا المغرور بأعماله أكثر مما أصلحه بأقواله ، اذ لا يستجرىء الجاهل على الرغبـــة فى الدنيـــا الا باستجراء العلماء ، فقد صار علمه سببا لجراة عباد الله على معاصيه ، ونفسه الجاهلة مذلة مع ذلك تمنيه ، وترجيه(٢٩) ، وتدعوه الى أن يمن على الله بعلمه ، وتخيل اليه نفسه انه خير من كثير من عباد الله ، فكن ايها الطالب من الفـــريق الأول واحذر أن تكون من الفـــريق الثانى ، فكم من مسوف عاجلة الأجل قبل التوبة فخسر ، واياك ثم اياك ان تكون من الفريق الثـــالث ، فتهلك هلاكا لا يرجى معـــه فلاحك ، ولا ينتظـــر صلاحك .

فان قلت فما بداية الهـــداية لأجرب بها نفسي فاعلم ان بدايتها ظاهرة التقوى ونهايتها باطنة التقوى ، فلا عاقبـــة الا بالتقوى ولا هداية الا للمتقين والتقوى عبارة عن امتثـــال

---

(٢٧) هكذا ـ ما هو ـ اى ما هذا الذى تخافه أو ما حقيقته .

(٢٨) ورد فى هذا أحاديث كثيرة .

(٢٩) تقهر آماله وتذلها بطلب المحال من دخول الجنة ورضا الله ، ويخيل اليه أنه على شيء ، وهو ليس على شيء .

أوامر الله تعالى ، واجتناب نواهيه ، فهما قسمان ، وهأنا اشير عليك بجمل مختصرة من ظاهر علم التقوى فى القسمين جميعا ، والحق قسما ثالثا ليصير هذا الكتاب جامعا مغنيـــا والله المستعان (٣٠) .

---

(٣٠) فى هذه المقدمة تبرز حملة الامام الغزالى على العلماء الذين لا يجعلون علمهم خالصا لله ، فيجرهم ذلك الى عدم العمل بما علموا ، ومفتاح هذه الرذيلة هى اتخاذ المتعلم علمه وسيلة لكسب المال أو الشهرة أو الجاه عند الحكام وذوى المكانة ، - وهذا مما يحمل العالم على التأول فى النصوص ، وطلب الاقوال الضعيفة ، أو التماس أدلة واهية لتبرير أعمال الحكام والكبراء ، وهذا كله بيع للدين بمتاع الدنيا . وهؤلاء علماء السوء وفى الحديث : ان أخوف ما أخاف على أمتى كل منـــافق عليم اللسان ، وفى رواية أخرى : الائمة المضللون .

والغزالى يتحدث فى هذا عن تجربة عميقة مع نفسه ومع علماء عصره ، فهو فى فترة اعتزاله التدريس واعتكافه طال تفكيره فى هذا الوجود وخالقه ، ثم فى سبب ضلال العلماء وبعدهم عن الاستقامة الحقة وطريق الهداية ، وقد رأى - كما وضح فى هذا الكتاب ، وفى كتاب أحياء علوم الدين ، وكما ألمع الى ذلك فى كتاب تهافت الفلاسفة - أن قوة اليقين تهدى الى حسن العبادة ، وأن العبادة الخالصة الكاملة هى بداية الطريق فى الوصول الى الله تعالى - وقد بدأ هنا بشرح الطاعات وهى العبادات - وبيان كيفية أدائها ، لانها اذا احسنت أداء واخلاصا حالت بين صاحبها وبين ارتكاب المعاصي - كما قال تعالى : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر » - وذكر الله فى الآية يعنى تذكره واستحضار خشيته ، وهذه أيضـا تنمو فى النفس بكثرة العبـادة والاخلاص فيها ، وتدبر معانى الآيات القرآنية ، كما أن العبادة إيضا توجه الى مزيد من الاخلاص به يبغض الشخص المعاصي . لهـــذا قدم الحديث عن الطاعات .

القســـم الأول

فى الطــاعات

اعلم ان أوامر الله تعالى فرائض ونوافل ، فالفرض راس المال ، وهو أصل التجارة وبه تحصل النجاة ، والنفل هو الربح وبه الفوز بالدرجات ، قال ﷺ : يقول الله تبارك وتعالى : ما تقرب الى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ، ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ولسانه الذى ينطق به ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشي بها (١) ، ولن تصل أيها الطالب الى القيام بأوامر الله تعالى الا بمراقبة قلبك وجوارحك فى لحظاتك وأنفاسك من حين تصبح الى حين تمسي (٢) فاعلم أن الله تعالى مطلع على ضميرك ، ومشرف على ظاهرك وباطنك ، ومحيط بجميع لحظاتك ، وخطراتك(٣) وخطواتك (٤) ، وسائر سكناتك وحركاتك ، وأنك فى مخالطتك وخلواتك متردد بين يديه ، فلا يسكن فى الملك

---

(١) يمنحه الله القوة والاستقامة فى كل عمل يعمله ، وانما تكون النوافل بعد أداء الفرائض وصدر الحديث : ما تقرب الى عبدى بشيء مثل ما افترضت عليه ، وفى ختامه : ولئن سألنى لأعطينه — فالفرائض أهم لأن تركها هدم للدين ، والنوافل تقرب العبد الى ربه، لأنه يفعلها تطوعا وحبا فى التقرب اليه .

(٢) المراد بالمراقبة عدم التفكير وعدم العمل الا بما يرضاه الله، فالعبد يمنع قلبه وجوارحه من المحرم ، لأنه يستشعر دائما أن الله مراقبه .

(٣) أفكارك .

(٤) أعمالك .

والملكوت (٥) ساكن ولا يتحرك متحرك الا وجبار السموات والارض مطلع عليه ، يعلم خائنة الأعين (٦) وما تخفى الصدور ، ويعلم السر واخفى ، فتأدب ايها المسكين ظاهرا وباطنا بين يدى الله تعالى تأدب العبد الذليل المذنب فى حضرة الملك الجبار القهار ، واجتهد الا يراك مولاك حيث نهاك ، ولايفقدك حيث أمرك (٧) ، ولن تقدر على ذلك الا بان توزع أوقاتك ، وترتب أورادك من صباحك الى مسائك (٨) ، فاصغ الى ما يلقى اليك من أوامر الله تعالى عليك من حين تستيقظ من منامك الى وقت رجوعك الى مضجعك .

---

(٥) الملكوت الملك العظيم — والمراد لا يحدث فى الأرض المحدودة ، ولا فى عالم السموات الواسع شيء الا بعلمه .

(٦) لحظاتها الخاطفة التى يشبه السرقه .

(٧) لا يراك ترتكب محرما ، ولا يفقدك تاركا عبادة .

(٨) لابد لمن ينشد السلامة والوصول الى الله أن يرتب أعماله بحسب أوقاته حتى يكون متعبدا فى كل عمل وفى كل وقت وقد رتب هذه الأعمال بدءا من تيقظ الشخص من نومه .

فصل : فى آداب الاستيقاظ من النوم

فاذا استيقظت من النوم فاجتهد أن تستيقظ قبل طلوع الفجر ، وليكن أول ما يجرى على قلبك ولسانك ذكر الله تعالى ، فقل عند ذلك : الحمد لله ، أحيانا بعد ما اماتنا واليه النشور ، اصبحنا واصبح الملك لله ، والعظمة والسلطان لله ، والعزة والقدرة لله رب العالمين ، أصبحنا على فطرة الاسلام وعلى كلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد - ﷺ - وعلى ملة أبينا ابراهيم حنيفا مسلما ، وما كان من المشركين ، اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا ، وبك نحيا وبك نموت واليك النشور ، اللهم انا نسألك أن تبعثنا (٩) فى هذا اليوم الى كل خير ، ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءا (١٠) أو نجره الى مسلم ، أو نجره أحدا الينا (١١) ، نسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه ونعوذبك من شر هذا اليوم وشر ما فيه .

فاذا لبست ثيابك فانو به امتثال أمر الله تعالى فى ستر عورتك ، واحذر أن يكون قصدك من لباسك مراءاة الخلق فتخسر (١٢) .

---

(٩) توجهنا .

(١٠) نرتكب .

(١١) من ادب هذا الدعاء أنه طلب أولا الا يمس الناس بشر ثم استعاذ أن يصيبه شر منهم .

(١٢) نهى عن الخيلاء والعجب .

باب آداب دخول الخلاء

فاذا قصدت بيت الماء لقضاء الحاجة فقدم فى الدخول رجلك اليسرى ، وفى الخروج رجلك اليمنى ، ولا تستصحب شيئا عليه اسم الله تعالى ورسوله (١٣) ، ولا تدخل حاسر الرأس ، ولا حافى القدمين ، وقل عند الدخول : باسم الله ، أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث (١٤) الشيطان الرجيم ، وعند الخروج : غفرانك الحمد لله الذى أذهب عنى ما يؤذينى وأبقى فى ما ينفعنى (١٥) .

وينبغى أن تعد النبل (١٦) قبل قضاء الحاجة ، والا تستنجى بالماء فى موضع قضاء الحاجة (١٧) وأن تستبرىء من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا ، وبامرار اليد اليسرى على اسفل القضيب . وان كنت فى الصحراء فابعد عن عيون الناظرين واستتر بشيء أن وجدته ، ولا تكشف عورتك قبل الانتهاء الى موضع الجلوس ولا تستقبل الشمس

---

(١٣) يعفى عما هو فى حرز أو لفافة أو فى داخل الجيب .

(١٤) كمدخل ومخرج - أى يوقع فى الخبث .

(١٥) يكرر كلمة غفرانك ؛ ويقول : الحمد لله الذي أذاقنى لذة طعامى وأبقى فى جسمى عافية وأزال عنى ضرره .

(١٦) جمع نبله مثل غرفة وهى الاحجار التى يستجمر بها - أو اعداد الماء ، وفى الحديث اتقوا الملاعين وأعدوا النبل .

(١٧) هذا اذا لم يكن فى مرحاض ، أو مكان معد لقضاء الحاجة - وذلك توقيا أو يصبه رشاش نجس .

ولا القمر ، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ، ولا تجلس فى متحدث الناس ، ولا تبل فى الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة، ولا فى الجحر ، واحذر الأرض الصلبة ومهب الريح ، واحترازا من الرشاش لقوله ﷺ : ان عامة عذاب القبر منه ، واتكىء فى جلوسك على الرجل اليسرى ، ولا تبل قائمـــا الا عن ضرورة ، واجمع فى الاستنجاء بين استعمال الحجر والمـاء ، فاذا اردت لاقتصار على احدهما فالماء افضل ، واذا اقتصرت على الحجر فعليك ان تستعمل ثلاثة احجار طاهرة منشفه للعين تمسح بها محل النجو(١٨) بحيث لا تنتقـل النجاســة عن موضعها ، وكذلك تمسح القضيب فى ثلاثة مواضع من حجر ، فان لم يحصل الانقاء بثلاثة فتمم خمسة أو سبعة الى ان ينقى بالايتار(١٩) ، فالايتار مستحب والانقاء واجب • ولا تستنج الا باليد اليسرى ، وقل عند الفراغ من الاستنجاء : اللهم طهر قلبى من النفاق ، وحصن فرجى من الفواحش • وادعك يدك بعد تمام الاستنجاء بالارض أو بحائط ثم اغسلها(٢٠) •

---

(١٨) الغائط •

(١٩) بالوتر •

(٢٠) الغرض من ذلك كله الا تنتشر النجاســة ،وأن يكون الانقاء تاما كافيا •

باب آداب الوضــوء

فاذا فرغت من الاستنجاء ، فلا تترك الســــــواك فانه مطهرة للفم ، ومرضاة للرب ومسخطة للشيطان ، وصلاة بسواك افضل من سبعين صلاة بلا سواك . وروى عن أبى هريرة ـ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لولا أن أشق عــــلى امتى لأمرتهم بالسواك فى كل صلاة ، وعنه ـ ﷺ ـ : أمرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب على ، ثم اجلس للوضــــوء مستقبل القبلة على موضع مرتفع كى لا يصيبك الرشــــاش ، وقل : بسم الله الرحمن الرحيم ، رب اعوذبك من همــــزات الشياطين واعوذبك رب أن يحضرون ، ثم اغسل يديك ثلاثــا قبل أن تدخلهما الاناء ، وقل : اللهم انى اسألك اليمن والبركة ، وأعوذبك من الشؤم والهلكة . ثم انو رفع الحدث واستباحة الصلاة ، ولا ينبغى أن تعزب (٢١) نيتك قبل غسل الوجــه ؛ فلا يصح وضوؤك ، ثم خذ غرفة لفمك وتمضمض بها ثلاثا ، وبالغ فى رد الماء الى الغلصمة ، إلا أن تكون صائما فترفق ، وقل : اللهم اعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ، وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . ثم خــذ غرفة لأنفك واستنشق بها ثلاثا ، واستنثر ما فى الأنف من رطوبة ،

---

(٢١) أن تغيب ، نســيان الشــخص أنــه عبــادة لا يفسدها ، ولكن لأن غسل الوجه هو أول فرائض الوضوء ينبغى للمتوضيء أن يظل ذاكرا ذلك حتى يبدأ غسله .

وقل فى الاستنشاق : اللهم ارحنى (٢٢) رائحة الجنة وأنت عنى راض ، وفى الاستنثار : اللهم انى أعوذبك من روائح النار وسوء الدار ، ثم خذ غرفة لوجهك فاغسل بها من مبتدا تسطيح الجبهة الى منتهى ما يقبل من الذقن فى الطـــول ومن الأذن الى الأذن فى العرض ، وأوصل الماء الى موضـــع التحذيف (٢٣) ، وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه ، وهو ما بين رأس الأذن الى زاوية الجبين ، أعنى ما يقع منه فى جبهة الوجه ، وأوصل الماء الى منابت الشعور الأربعـــة ، الحاجبين والشاربين والأهداب والعذارين (٢٤) ، وهمـــا ما يوازيان الأذنين ، من مبتدأ اللحية ، ويجب ايصال المـــاء الى منابت الشعر من اللحية الخفيفة ، دون الكثيفة ، وقـــل عند غسل الوجه الوجه : اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ، ولا تسود وجهى بظلماتك يوم تسود وجـــوه أعدائك .. ولا تترك تخليل اللحية الكثيفة ، ثم اغسل يدك اليمنى ، ثم اليسرى مع المرفقين الى انصاف العضدين ، فان الحلية فى الجنة تبلغ مواضع الوضوء (٢٥) وقل عند غســل

---

(٢٢) اجعلنى اشم هذه الرائحة .

(٢٣) موضع اتصال شعر الرأس بشعر الوجه ، ماتحذف النساء الشعر وتزيله منه .

(٢٤) العذار أعلى الخد .

(٢٥) ايمتد البياض والنور على الأعضاء المتوضئة ، ولا يجوز الزيادة عما هو محدد ، لأن ذلك من الغـــلو فى الدين والمراد دع الماء يتخلل هذا الشعر .

اليد اليمنى : أعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا ، وعند غسل الشمال : اللهم انى أعوذ بك أن تعطينى كتابى بشمالى أو من وراء ظهرى . ثم استوعب (٢٦) رأسك بالمسح، بأن تبل أيديك وتلصق رءوس أصابع يدك اليمنى باليسرى ، وتضعهما على مقدمة الرأس ، وتمرهما الى القفا ، ثم تردهما الى المقدمة ، فهذه مرة ، تفعل ذلك ثلاث مرات وكذلك فى سائر الأعضاء ، وقل : اللهم غشنى (٢٧) برحمتك وأنزل على من بركاتك ، وأظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ، اللهم حرم شعرى وبشرى (٢٨) على النار ، ثم امسح أذنيك ظاهرهما وباطنهما بماء جديد ، وادخل مسبحتك(٢٩) فى صماخى أذنيك ، وامسح ظاهر أذنيك ببطن ابهاميك ، وقل : اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، اللهم اسمعنى منادى الجنة فى الجنة مع الأبرار ، ثم امسح رقبتك . وقل : اللهم فك رقبتى من النار ، وأعوذبك من السلاسل والأغلال ، ثم اغسل رجلك اليمنى ثم اليسرى مع

---

(٢٦) اجعل المسح شاملا جميع الشعر ، والغزالى من الشافعية، ولكنه يرى مسح الرأس كله أحوط . ولاحظ أن الدعاء يأتى عند كل عضو بما يناسبه ، فعند الاستنشاق يدعو بما يناسب الانف وهو الشم ، وعند مسح الاذنين يأتى بما يناسب السمع ، وهكذا .

(٢٧) اجعلها تغشانى وتشملنى .

(٢٨) جلدى .

(٢٩) سبابتيك - والاصبع السبابة هى التى تحرك حبات المسبحة وتسمى مسبحة أيضا .

الكعبين ، وخلل بخنصر اليسرى اصابع رجلك اليمنى مبتدئا بخنصرها ، حتى تختم بخنصر اليسرى ، وتدخل الأصابع من اسفل ، وقل : اللهم ثبت قدمى على الصراط المستقيم مع اقدام عبادك الصالحين ، وكذلك تقول عند غسل اليسرى : اللهم إنى أعوذبك أن تزل قدمى على الصراط فى النار يوم تزل اقدام المنافقين (٣٠) والمشركين ، وارفع الماء الى انصاف الساقين (٣١) ، وراع التكرار ثلاثا فى جميع افعالك ، فاذا فرغت فارفع بصرك الى السماء وقل : اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، واشهد أن محمدا عبده ورسوله ، سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت انت التواب الرحيم ، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين ، واجعلنى من عبادك الصالحين ، واجعلنى صبورا ، شكورا ، واجعلنى اذكرك ذكرا كثيرا ، واسبحك بكرة واصيلا .

فمن قرأ هذه الدعوات فى وضوئه خرجت خطاياه من جميع اعضائه ، وختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش

---

(٣٠) من المختار ان تقول : اللهم ثبت قدمى على الصراط .

(٣١) من المكروه عند المالكية ان يزيد المتوضي في غسل أعضائه عن الحد المقرر شرعا والمقرر فى غسل الرجل هو الكعبان — كما فى الآية ، والزيادة عما فوق الكعبين غلو فى الدين .

فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدسه ، ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيامة (٣٢) .

واجتنب فى وضوئك سبعا :

لاتنفض يديك فترش الماء ، ولا تلطم وجهك ورأسك بالماء لطما ولا تتكلم فى اثناء الوضوء (٣٣) ، ولا تزد فى الغسل على ثلاث مرات ، ولا تكثر صب الماء من غير حاجة بمجرد الوسوسة ، فللموسوسين شيطان يضحك بهم (٣٤) يقال له الولهان (٣٥) ، ولا تتوضأ بالماء المشمس (٣٦) ، ولا من الاوانى الصفرية (٣٧) ، فهذه السبعة مكروهة فى الوضوء ..

---

(٣٢) كل هذا كنايه عن كثرة الثواب من الله تعالى على هذا الوضوء المخلص ، وكل هذه الأدعية لم تثبت بسند قوى ، وانما هى من عمل الصالحين ، والأفضل تنويع المتوضىء فى دعائه ، والا يلتزم صيغة واحدة ، لأنها تصير كلاما آليا لا يمس القلب .

(٣٣) لأن الكلام مما يذهل عن مراقبة الله تعالى ، ويذهب بالخشوع . وليس الكلام مكروها ويجوز التكلم عند الحاجة بغير اطالة .

(٣٤) يلعب بهم ويسخر منهم .

(٣٥) لأنه يوله الناس ، أو هو نفسه وله بافساد عبادتهم

(٣٦) يقال ان رسول الله ﷺ نهى عنه ، وكذا عمر بن الخطاب وكان الصحابة يكرهونه .

(٣٧) النحاسية

وفى الخبر ان من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ، ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما اصابه الماء .

آداب الغسل

فاذا اصابتك جنابة - من احتلام او وقاع فخذ الاناء الى المغتسل (٣٨) ، واغسل يديك اولا ثلاثا ، وازل ما على بدنك من قذر وتوضا كما سبق فى وضوئك للصلاة مع جميع الدعوات ، واخر غسل قدميك ، كيلا يضيع الماء ، فاذا فرغت من الوضوء فصب الماء على راسك ثلاثا وانت ناو رفع الحدث من الجنابة ، ثم على شقك الأيمن ثلاثا ، ثم على الأيسر ثلاثا ، وادعك ما اقبل من بدنك وما ادبر ثلاثا ثلاثا ، وخلل شعر راسك ولحيتك ، واوصل الماء الى معاطف(٣٩) البدن ومنابت الشعر ما خفف منه وما كثف ، واحذر ان تمس ذكرك بعد الوضوء ، فان اصابته يدك فاعد الوضوء (٤٠)

والفريضة من جملة ذلك كله النية ، وازالة النجاسة ، واستيعاب البدن بالغسل .

---

(٣٨) مكان الاغتسال .

(٣٩) ثنيات .

(٤٠) مس الذكر بباطن الأصابع او بجوانبها من غير حائل ينقض الوضوء . وليس الأمر كذلك فى المراة فلا ينتقض وضوءها بمسها فرجها .

وفرض الوضوء غسل الوجه واليـــدين مع المرفقين ، ومسح بعض الراس ، وغسل الرجلين الى الكعبين مرة مع النية والترتيب ، وما عداها سنن مؤكدة ، فضلها كثير وثوابها جزيل ، والمتهاون بها خاسر ، بل هو باصل فرائضه مخاطر ، فان النوافل جوابر للفرائض (٤١) .

آداب التيمم

فان عجزت عن استعمال الماء لفقده بعد الطلب ، أو لعذر من مرض او لمانع من الوصول اليه من سبع او حبس ، أو كان الماء الحاضر تحتاج اليه لعطشك أو لعطش رفيقـــك ، او كان ملكا لغيرك ولم يبع الا باكثر من ثمن المثل أو كان بك جراحة أو مرض تخاف منه على نفسك ، فاصبر حتى يدخل وقت الفريضة ثم اقصد صعيدا طيبا (٤٢) عليه تراب خالص طاهر لين ، فاضرب عليه بكفيك (٤٣) ضاما بين أصابعك ، وانو استباحة فرض الصلاة ، وامسح بهما وجهك كله مـرة

---

(٤١) تجبر ما يكون بها من نقص .

(٤٢) ترابا طاهرا ، والمراد اى شيء من جنس الأرض أى اختر مكانا طاهرا من الأرض . ولا يشترط وجود تراب اذ يكفى الحجر الأملس - والمهم هو الطهارة .

(٤٣) ضعهما عليه . وهذا الوضع يسمى ضربا ، وليس المراد أن تخبط بيديك .

ولا تتكلف ايصال الغبار (٤٤) الى منابت الشعر خف او كثف، ثم انزع خاتمك واضرب ضربة ثانية مفرجا ما بين اصابعك.، وامسح بهما يديك مع مرفقيك فان لم تستوعبهما فاضرب ضربة اخرى (٤٥) الى ان تستوعبهما ، ثم امسح احدى كفيك بالأخرى ، وامسح ما بين أصابعك بالتخليل ٠

وصل به فرضا واحدا وما شئت من النوافل ، فان أردت فرضا ثانيا فاستأنف تيمما آخر ٠

آداب الخروج الى المسجد

فاذا فرغت من طهارتك فصل فى بيتك ركعتى الصبح (٤٦) ان كان الفجر قد طلع ، كذلك كان يفعل رسول الله — ﷺ — ثم توجه الى المسجد ، ولاتدع الصلاة فى الجماعة ، لاسيما الصبح ، فصلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة فان كنت تتساهل فى مثل هذا الربح فأى فائدة لك فى طلب العلم ؟ وانما ثمرة العلم العمل به ٠

---

(٤٤) لا داعى لوجود غبار على اليدين أصلا ، بل بعد وضعهما على التراب ينفضهما ليقع التراب والمهم هو مرور اليد على الأعضاء ، وتتبع تجاعيد الوجه ٠

(٤٥) لا داعى لذلك ، لأن المتيمم لا يضع ترابا على اعضاء تيممه ٠

(٤٦) يريد ركعتى السنة — وهما الفجر ٠

فاذا سعيت الى المسجد فامش على هينة وتؤدة وسكينة ، ولا تعجل ، وقل فى طريقك : اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق الراغبين اليك ؛ وبحق ممشاى هذا اليك ، فانى لم اخرج أشرا (٤٧) ولا بطرا (٤٨) ولا رياء ولا سمعة ، بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، فأسألك ان تنقذنى من النار ، وأن تغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت .

آداب دخول المسجد

فاذا أردت الدخول الى المسجد فقدم رجلك اليمنى ، وقل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم ، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك . ومهما رأيت فى المسجد من يبيع أو يبتاع فقل : لا اربح الله تجارتك (٤٩) ، واذا رأيت فيه من ينشد ضالة فقل : لارد الله عليك ضالتك كذلك أمر رسول الله ﷺ ، فاذا دخلت المسجد فلا تجلس حتى تصلى ركعتى التحية (٥٠) ، فان لم تكن على طهارة ، أو لم

---

(٤٧) متكبرا .

(٤٨) جاحدا نعمتك ومنكرا فضلك .

(٤٩) دعاء على من يتجر فى المسجد ؛ لأنه مخصص للعبادة والدعاء عليه بعدم الربح جاء فى الحديث .

(٥٠) لا تؤدى تحية المسجد عند المالكية بعد الفجر ولكن يقول الداخل . سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثا فهى تسد مسد التحية فى الأوقات التى لا تحل فيها النوافل ، وهذه هى الباقيات الصالحات والشافعية يرون دخول المسجد فى أى وقت مجوزا لاداء التحية .

ترد فعلها كفتك الباقيات الصالحات ثلاثا ، وقيل اربعـــا ، وقيل ثلاثا للمحدث وواحدة للمتوضىء ، فان لم تكن صليت فى بيتك ركعتى الفجر ، فيجزئك اداؤهما عن التحية (٥١) .

فاذا فرغت من الركعتين فانو الاعتكاف ، وادع بمـــا دعا به رسول الله ﷺ بعد ركعتى الفجر فقل : اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى ويجمع بها شملى وتلم بهـــا شعثى (٥٢) ، وترد بها الفتى (٥٣) ، وتصلح بها دينى ، وتحفظ بها غائبى (٥٤) وترفع بها شاهدى (٥٥) وتزكى بها عملى (٥٦) وتبيض بها وجهى ، وتلهمنى بها رشدى (٥٧) ، وتقضي لى بها حاجتى وتعصمنى بها من كل سوء ، اللهم انى اسألك ايمانا خالصا دائما يباشر قلبى ، ويقينا صادقا ، حتى أعلم انه لن يصيبنى الا ما كتبته على ، ورضنى بما قســمته

---

(٥١) وهذا فى غير المسجد الحرام ، أمـــا هو فتحيته الطواف والركعتان بعده .

(٥٢) تصلح ما تفرق من أمرى .

(٥٣) تجمع بها على ما آلفه من الاعمال والاحوال ـ والذى يؤلف هو ما يحبه الشخص .

(٥٤) تحفظ ما غاب عنى من آلى ، أو تحفظ بها ما غاب عن الناس من ايمانى وسرائرى .

(٥٥) ما ظهر من أعمالى أو الحاضرون من ذوى .

(٥٦) تطهره وتنقيه من كل ما يفسده أو ينقص ثوابه

(٥٧) الرشد بضم أوله كقفل العقل وحسن الادراك ، والرشد بفتحتين الرشاد والتوفيق

لى ، اللهم انى أسالك ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ، واسالك رحمة انال بها شرف كرامتك (٥٨)فى الدنيا والآخرة، اللهم انى اسالك الفوز عند اللقاء ، والصبر عند القضاء ، ومنازل الشهداء ، وعيش السعداء والنصر على الاعداء ، ومرافقة الأنبياء (٥٩) ، اللهم انى انزل بك حاجتى ، وان ضعف رايى وقصر عملى ، وافتقرت الى رحمتك ، فاسالك يا قاضي الامور ، ويا شافى الصدور ، كما تجير بين البحور (٦٠) ان تجيرنى من عذاب السعير ، ومن دعوة الثبور ، ومن فتنة القبور ، اللهم ما قصر عنه رايى ، وضعف عنه عملى ولم تبلغه نيتى ، وامنيتى من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فانى أرغب اليك فيه واسالك اياه يارب العالمين ، اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، حربا لأعدائك سلما لأوليائك، نحب بحبك الناس ، ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك ، اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة ، وهذا الجهد وعليك التكلان (٦١) وانا لله وانا اليه راجعون ، ولا حول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ، اللهم ذا الحبل الشديد (٦٢) والأمر

---

(٥٨) اكرامك لى

(٥٩) اى فى الجنة ، وهو مطلب عزيز يحمل على الاكثار من العبادة .

(٦٠) لا تجعل بحرا يبغى على الآخر .

(٦١) بضم التاء اى التوكل

(٦٢) كناية عن القسوة

المرشيد (٦٣) اسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود ، والركع السجود ، الموفين لك بالعهود انك رحيم ودود ، وانك تفعل ما تريد ، سبحان من تعطف بالعز (٦٤) وقال به (٦٥) سبحان من لبس المجد وتكرم به (٦٦) ، سبحان من لا ينبغي التسبيح الا له ، سبحان ذى الفضل والنعم ، سبحان ذى الجود والكرم ، سبحان الذى أحصي كل شيء بعلمه ، اللهم اجعل لى نورا فى قلبى (٦٧) ، ونورا فى قبرى (٦٨) ، ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ، ونورا فى شعرى ، ونورا فى بشرى ونورا فى لحمى ونورا فى دمى ونورا فى عظامى ونورا من بين يدى ونورا من خلفى ونورا عن يمينى ونورا عن شمالى ، ونورا من فوقى ونورا من تحتى ، اللهم زدنى نورا ، واعطنى نورا أعظم نور ، واجعل لى نورا برحمتك يا أرحم الراحمين (٦٩) .

فاذا فرغت من الدعاء فلا تشتغل الى وقت الفرض

---

(٦٣) الموافق للخير كل الخير .

(٦٤) يمنح العزة من يشاء ـ لله العزة جميعا

(٦٥) غلب به كل قوى .

(٦٦) هو مجيد وتكرم يمنح المجد من يشاء .

(٦٧) بالايمان .

(٦٨) راحة واطمئنانا وجاء فى الاحياء ان هذا دعاء رسول الله ﷺ ولكن بينهما اختلافات فى بعض المواضع .

(٦٩) لم يات فى كلمة برحمتك يا أرحم الراحمين ـ والمراد بالنور فى الجوارح كلها هو قوتها واستعمالها فى الخير .

الا بفكر وتسبيح أو قراءة قرآن ، فاذا سمعت الأذان فى اثناء ذلك فاقطع ما انت واشتغل بجواب المؤذن

فاذا قال المؤذن : الله اكبر ، فقل مثل ذلك ، وكذلك فى كل كلمة الا فى الحيعلتين فقل فيهما : لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (٧٠) فاذا قال : الصلاة خير من النوم ، فقل : صدقت وبررت وأنا على ذلك من الشاهدين ، فاذا سمعت الاقامة فقل مثل ما يقول ، الا فى قوله : قد قامت الصلاة ، فقل : اقامها الله وادامها مادامت السموات والأرض ، فاذا فرغت من جواب المؤذن فقل : اللهم انى اسالك عند حضور صلاتك (٧١) واصوات دعاتك ، وادبار ليلك واقبال نهارك ، أن تؤتى محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة ، وابعثه المقام المحمود الذى وعدته (٧٢) ، انك لا تخلف الميعاد يا ارحم الراحمين . فاذا سمعت الأذان وانت فى الصلاة فتمم الصلاة ، ثم تدارك الجواب بعد السلام على وجهه .

فاذا احرم الامام بالفرض فلا تشتغل الا بالاقتداء به ، وصل الفرض كما سيتلى عليك فى كيفية الصلاة وآدابها ،

---

(٧٠) ويسن أن تقول بعد قولك أشهد أن محمد رسول الله : وأنا أشهد ، أو نعم أشهد أن محمدا رسول الله ، رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا .

(٧١) هى الشفاعة العامة .

(٧٢) أى فى قوله تعالى : عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا

فاذا فرغت فقل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم ، اللهم انت السلام (٧٣) ومنك السلام (٧٤) واليك يعوذ السلام (٧٥) فحينا ربنا بالسلام (٧٦) وادخلنا الجنة دار السلام ، تباركت ياذا الجلال والاكرام ، سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب ، لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت ، وهو حى لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شي قدير ، لا اله الا الله اهل النعمة والفضل والثناء الحسن ، لا اله الا الله ، ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين (٧٧) ولو كره الكافرون .

ثم ادع بعد ذلك بالجوامع الكوامل ، وهو ما علمه رسول الله ﷺ ـ عائشة رضي الله عنها ، فقل :

اللهم انى اسالك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم ، واعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم ، واسالك الجنة وما يقرب اليها من قول وعمل ونية واعتقاد ، واعوذ بك من النار وما يقرب اليها

---

(٧٣) السالم من كل نقص

(٧٤) تمنح السلم والسلامة .

(٧٥) كل سلام نعمله راجع اليك

(٧٦) ارض عنا وأدخلنا الجنة نسمع فيها تحية الملائكة كما قال تعالى : تحيتهم يوم يلقونه سلام .

(٧٧) عقيدتنا وعبادتنا خالصة له وحده .

من قول وعمل ونية واعتقاد ، وأسالك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ ، وأعوذ بك من شر ما استعاذك منـه عبدك ونبيك محمد ﷺ وما قضيت على من أمر فاجعل عاقبته رشدا (٧٨) ..

ثم ادع بما أوصي به رسول الله ﷺ فاطمـة ـ رضي الله عنها ـ فقل :

يا حى يا قيوم ياذا الجلال والاكـرام ، لا اله الا انت برحمتك استغيث ، ومن عذابك استجير ، لا تكلنى الى نفسى ولا الى احد من خلقك طرفة عين ، واصلح لى شانى كلـه بما أصلحت به الصالحين (٧٩) .

---

(٧٨) يجدر بالقارىء أن يرجع الى كتاب « الاذكار والدعوات » فى كتاب الاحياء ، ففيه هذه الادعية وفيه آداب الدعاء ، عشرة ، ومنها أن يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى ، كان يقول : سبحان ربى العلى الوهاب ويصلى على سيدنا محمد ، ومنها اصلاح الباطن والتوبة .

(٧٩) فى الاحياء : ينتهى الدعاء عند وأصلح لى شانى كله ــ وفى أوله : يافاطمة ما يمنعك أن تسمعى ما أوصي به أن تقولى : يا حى .. الخ . وهناك أدعية علمها رسول الله ﷺ : أبا بكر ، وأخرى علمها بريدة الاسلمى ، وثالثة لقبيصة بن مخارق ــ ثم ادعية أخرى لعدد من الانبياء والصالحين ، ثم أورد أدعية مأثورة عن النبى ﷺ وبعض أصحابه ، مما جمعه كبار رجال التصوف خصوصا أبا طالب المكى فى « قوت القلوب » وسواء صحت هذه الادعية عن رسول الله أو لم تصح ــ ففيها ضراعات

ثم قل ما قاله عيسي على نبينا وعليه الصلاة والسلام :

اللهم انى اصبحت لا استطيع دفع ما اكـــره (٨٠) ، ولا املك نفع ما ارجو ، واصبح الأمر بيــدك لا بيد غيرك . وأصبحت مرتهنا بعملى ، فلا فقير افقر منى اليك ، ولا غنى اغنى منك عنى ، اللهـــم لا تشمت بى عـــدوى ولا تسؤ بى صديقى ، ولا تجعل مصيبتى فى دينى ، ولا تجعل الدنيـــا اكبـــر همى ولا مبـــلغ علمى ، ولا تســـلط على بذنبى من لا يرحمنى .

ثم أدع بما بدالك من الدعوات المشهورات ، واحفظهـــا مما أوردناه فى كتاب الدعوات من كتاب « احياء عـــلوم الدين (٨١) ولتكن اوقاتك بعد الصلاة . الى طلوع الشمس ، موزعة على أربع وظـــائف (٨٢) ، وظيفة فى الدعـــوات

وتوسلات جديرة بان يرجع اليها ، ثم هناك أدعية مناسبة للاعمال التى يؤديها الشخص من جلوسه مجلسا أو قيامه منه أو دخوله سوقا أو بيعه أو شرائه أو نحو ذلك .

(٨٠) كلمة أصبح فى هذا المقام لا تعنى اننى صرت الى هذه الحال بعد أن كنت فى غيرها ، ولكنها تعنى اننى فى وقتى هذا على هذه الحالة

(٨١) انظر كتاب الاذكار والدعوات الذى أشرنا اليـه ، وسـيد الاستغفار هو : « اللهم أنت ربى ، لا اله الا أنت خلقتنى وانا عبدك ، وانا على عهدك ووعدك ما استطعت ، اعوذ بك من شر ما صنعت ، ابوء لك بنعمتك على وابوء بذنبى ، فاغفر لى ، فانه لا يغفر الذنوب الا انت »

ووظيفة فى الأذكار والدعوات وتكررها فى مســبحة (٨٣) ووظيفة فى قراءة القرآن ، ووظيفة فى التفكر ، فتفــكر فى ذنوبك وخطاياك وتقصيرك فى عبـــادة مولاك ، وتعرضك لعقابه الأليم وسخطه العظيــم ، وترتب بتدبيرك أورادك فى جميع يومك لتتــدارك به ما فــرط (٨٤) من تقصيرك ، وتحترز (٨٥) من التعرض لسخط الله تعالى الأليم فى يومك ، وتنوى الخير لجميع المسلمين ، وتعزم الا تشغل فى جميــع نهارك الا بطاعة الله تعالى ، وتقصد فى قلبك الطاعات التى تقدر عليها وتختار افضلها ، - وتتأمل تهيئة أسبابها لتشتغل بها ، ولا تدع عنك التفكر فى قرب الأجل وحلول الموت القاطع للأمل (٨٦) ، وخروج الأمر عن الاختيار وحصــول الحسرة والندامة بطول الاغترار ، وليكن من تسـابيحك ، واذكارك عشر كلمات :

احداهن : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له المــلك وله الحمد يحيى ويميت ، وهو حى لا يموت ، بيده الخــير وهو على كل شيء قدير .

---

(٨٢) اعمال دائمة ثابتة كل يوم - ويختم الورد بالدعاء بما يحب الشخص ثم بالصلاة على رسول الله ﷺ .

(٨٣) ليعرف عدد المرات التى كررها .

(٨٤) ما سبق وافلت منك .

(٨٥) يجعل بهذا العمل حرزا مانعا من تعرضك لغضب الله .

(٨٦) عملا بالحديث : اذكروا هازم اللذات .

الثانية : لا اله الا الله الملك الحق المبين (٨٧)

الثالثة : لا اله الا الله الواحد القهار رب السـمـوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار .

الرابعة : سبحان الله والحمد لله، ولا اله الا الله ، والله اكبر، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ـ الخامسة : سـبوح قدوس رب الملائكة والروح (٨٨) .

السادسة : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم .

السابعة : استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأسأله التوبة والمغفرة .

الثامنة : اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ، ولا راد لما قضيت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد (٨٩)

---

(٨٧) يحسن ان يراعى الداعى أن لكل كلمة معنى على حدة ـ الملك المالك ، والحق الثابت ، والمبين المبين للصراط المستقيم ، بدلا من جعل الملك الحق كلمة واحدة اى هو الملك حقا .

(٨٨) بضم أولهما . اى الذى له التسبيح والتقديس . والتسبيح بالعبادة والتقديس بتنزيهه والتفكير فى صفاته وجلاله .

(٨٩) بكسر الجيم اى الاجتهاد والكد ، وبالفتح الحظ والغنى ، ولا شيء من ذلك ينفع عند الله الا العمل الصالح . ومن المأثورات التى جاءت فى الاحياء أن يقرأ المتعبد قبل طلوع الشمس وقبـل غروبها : الفاتحة ـ وآية الكرسي والكافرون ، وقل هو الله أحد والمعوذتين ـ كلا سبعة

التاسعة : اللهم صلى على محمد ، وعلى آل محمد وصحبه وسلم

العاشرة : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم .

تكرر كل واحدة من هذه الكلمات اما مائة مرة أو سبعين مرة ، أو عشر مرات ، وهو أقله ، ليكون المجموع مائة ، ولازم هذه الأوراد ، ولا تتكلم قبل طلوع الشمس ، ففى الخبر أن ذلك افضل من اعتاق ثمان رقاب من ولد اسماعيل - على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، أعنى الاشتغال بالذكر الى طلوع الشمس من غير ان يتخلله كلام .

آداب مابعد طلوع الشمس الى الزوال :

فاذا طلعت الشمس وارتفعت قدر رمح فصل ركعتين ، وذلك عند زوال وقت الكراهة للصلاة ، فانها مكروهة من بعد فريضة الصبح الى ارتفاع الشمس ، فاذا أضحى النهار ومضي

مرات ، ويقول : سبحان الله والحمد لله والله اكبر سبعا ويصلى على النبى سبعا ويستغفر لنفسه ولواليه وللمؤمنين سبعا ، ثم يقول : اللهم افعل بى وبهم - عاجلا وآجلا ، فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ، ولا تفعل بنا ما نحن له أهل انك غفور رحيم حليم - جواد كريم رءوف رحيم سبعا أيضا - وهذه تسمى المسبعات ، ولا بأس أن يقرأها المبتدىء مرة كل مساء وصباح .

منه قريب من ربعه فصل صلاة الضحى اربعا أو ستا او ثمانية، مثنى ، مثنى ، فقد نقلت هذه الأعداد كلها عن رسول الله ﷺ والصلاة خير كلها ،(٩٠) فمن شاء فليستكثر ، ومن شاء فليستقلل، فليس بين طلوع الشمس والزوال راتبة من الصلاة الا هذه . فما فضل منها من أوقاتك فلك فيه أربع حالات :

الحالة الأولى وهي الأفضـــل أن يصرفه في طلب العلم النافع في الدين ، دون الفضول الذي اكب الناس عليه وسموه علما (٩١) ، والعلم النافع هو ما يزيد في خوفك من الله تعالى ، ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك ويزيد في معرفتك بعبادة ربك ، ويقلل من رغبتك في الدنيا ، ويزيد في رغبتك في الآخرة ، ويفتح بصيرتك بآفات اعمالك حتى تحترز منها ، ويطلعك على مكايد الشيطان وغروره ، وكيفية تلبيسه على

---

(٩٠) وهي من خير العبادات ، ومن وجد فراغا من عمله ، أو حدثته نفسه بسوء ، فليقم لصلاة ركعتين على الاقل ، ومن ســـد عليه تفكيره أو حزبه أمر فليفزع الى الصلاة وفي الحديث الصلاة خير موضوع ، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر ، ومعنى خير موضوع خير ما شرع الله ووضع لعباده .

(٩١) المراد العلوم المضللة كالسحر وعلم النجـوم ، أما العلــوم الحديثة من الهندسة والطب والعلوم فهي من العبادات ان قصد بها النفع ونواه قربانا لله .

علماء السوء (٩٢) حتى عرضهم لمقت الله تعالى وسخطه (٩٣). حيث اكلوا الدنيا بالدين ، واتخذوا العلم ذريعة ووسيلة الى اخذ اموال السلاطين ، واكل اموال الاوقاف واليتامى والمساكين وصرفوا همتهم طول نهارهم الى طلب الجاه والمنزلة فى قلوب الخلق ، واضطرهم ذلك الى المراءاة ، والمماراة ، والمشاقة فى الكلام والمباهاة ، وهذا الفن من العلم النافع قد جمعناه فى كتاب احياء علوم الدين (٩٤) فان كنت من اهله فحصله واعمل به ، ثم علمه وادع اليه ، فمن علم ذلك وعمل به ثم علمه ودعا اليه فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السموات بشهادة عيسي عليه السلام .

فاذا افرغت من ذلك كله وفرغت من اصلاح نفسك ظاهرا وباطنا ، وفضل شيء من اوقاتك فلا بأس أن تشتغل بعلم المذهب فى الفقه لتعرف به الفروع النادرة فى العبادات وطريق التوسط بين الخلق فى الخصومات عند انكبابهم على

---

(٩٢) تزيين الباطل امامهم والباسه ثوب الحق .

(٩٣) نشعر من هذا ما كان يعانيه الغزالى من علماء عصره ، وبعدهم فى الحياة عن طريقته .

(٩٤) ارجع الى الباب الخامس ، والباب السادس ، فهناك أحاديث عن « ادرارات السلاطين » وصلاتهم ما يحل منها وما لا يحل ، وما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة وما يحرم ، وحكم غشيان مجالسهم، ويلى هذا ما جاء فى تقسيمه العلم الى نافع وغير نافع ، وتقسيم هذا الاخير الى اقسام اخرى .

الشهوات ، فذلك ايضا بعد الفراغ من هذه المهمات من جملة فروض الكفايات فان دعتك نفسك الى ترك ما ذكرناه من الاوراد و الاذكار استثقالا لذلك فاعلم ان الشيطان اللعين قد دس فى قلبك الداء الدفين ، وهو حب المال والجاه ، فاياك ان تغتر به فتكون ضحكة له (٩٥) فيهلكك ، ثم يسخر بك (٩٦) ، فان جربت نفسك مدة فى الاوراد والعبادات فكانت لاتستثقلها كسلا عنها لكن ظهرت رغبتك فى تحصيل العلم النافع ولم ترد به الا وجه الله تعالى والدار الآخرة فذلك افضل من نوافل العبادات مهما صحت النية(٩٧) · ولكن الشأن فى صحة النية ، فان لم تصح النية فهو معدن (٩٨) غرور الجهال ، ومزلة اقدام الرجال ·

الحالة الثانية : الا تقدر على تحصيل العلم النافع فى الدين ولكن تشتغل بوظائف العبادات من الذكر والتسبيح والقراءة والصلاة ، فذلك من درجات العابدين ، وسير الصالحين ، وتكون أيضا بذلك من الفائزين ·

---

(٩٥) يتخذك العوبة له وسخرية ·

(٩٦) الافضل فى هذا العقل ان يتعدى بمن ·

(٩٧) أى متى كانت نيتك ارادة وجه الله ، والغزالى يستعمل مهما هنا كثيرا بمعنى متى ، والمعنى على أى حال صحت نيتك فلك هذا الثواب ·

(٩٨) أصل غرورهم واساسه ·

الحالة الثالثة : أن تشتغل بما يصــل منــه خير الى المسلمين ، ويدخل به سرور على قلوب المؤمنين ، أو تتيسر به الأعمال الصالحة للصالحين كخدمة الفقهاء والصوفية واهل الدين ، والتردد فى أشــغالهم والسعى فى اطعــام الفقراء والمساكين ، والتردد مثــلا على المرضى بالعيادة ، وعلى الجنائز بالتشييع ، فكل ذلك أفضل من النوافل ، فان هذه عبادات وفيها رفق للمسلمين ٠

الحالة الرابعة ألا تقوى على ذلك ، فاشــتغل بحاجاتك اكتسابا على نفسك أو على عيالك ، وقد ســلم المسلمون منك وآمنوا من لسانك ويدك ، وســلم لك دينــك ـ اذا لم ترتكب معصية ـ ، فتنال بذلك درجة اصحاب اليمين (٩٩) ، ان لم تكن من أهل الترقى الى مقامات السابقية (١٠٠) ، فهذا أقل الدرجات فى مقامات الدين (١٠١) ، وما بعد هــذا فهو من مراتع الشياطين (١٠٢) ، وذلك بأن تشتغل والعياذ بالله بما

---

(٩٩) أصحاب اليمين هم المقتصدون فى العبادة ٠

(١٠٠) المسارعون فى العبادات ٠

(١٠١) هذا الاشتغال بالكسب الذى يمكن أن يوصل الى درجة أصحاب اليمين أقل وأدنى درجة فى رتب العبادة ٠

(١٠٢) هى المجالات التى ترتع فيها الشــياطين فتوقع الناس فى المعصية ٠

يهدم دينك ، أو تؤذى به عبدا من عباد الله تعالى ، فهذه رتبة الهالكين ، فاياك أن تكون فى هذه الطبقة (١٠٣) .

واعلم ان العبد فى حق دينه على ثلاث درجات ، اما سالم وهو المقتصر على اداء الفرائض وترك المعاصي ، أو رابح وهو المتطوع بالقربات والنوافل ، أو خاسر وهو المقصر عن اللوازم (١٠٤) ، فان لم تقدر أن تكون رابحا فاجتهد ان تكون سالما ، واياك ثم اياك أن تكون خاسرا ، والعبد فى حق سائر العباد له ثلاث درجات :

الأولى : أن ينزل فى حقهم منزلة الكرام البررة من الملائكة ، وهو أن يسعى فى أغراضهم رفقا بهم وادخالا للسرور على قلوبهم .

الثانية : ان ينزل فى حقهم منزلة البهائم والجمادات ، فلا ينالهم خيره ، ولكن يكف عنهم شره .

---

(١٠٣) واضح من هذا أن الشخص اذا لم يستخدم وقته فى عمل نافع كان وقته ملكا للشيطان وعاد عليه بالضرر البليغ ، وهذا هو الهلاك الذى يحذر منه . وقد نظر فى هذا التقييم الى ماجاء فى سورة الواقعة.

(١٠٤) هذا التقسيم مأخوذ مما جاء فى سورة فاطر . من قوله تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير » آية ٣٢

والثالثة : أن ينزل فى حقهم منزلة العقارب والحيات والسباع الضاريات ، لا يرجى خيرة ، ويتقى شره ، فان لم تقدر على أن تلتحق بأفق الملائكة فاحذر أن تنزل عن درجة البهائم والجمادات الى درجة العقارب والحيات والسباع الضاريات ، فان رضيت لنفسك النزول من أعلى عليين ، فلا ترضي لها من الهوى الى أسفل سافلين ، فلعلك تنجو كفافا لا لك ولا عليك ، فعليك فى بياض نهارك الا تشتغل الا بما ينفعك فى معادك أو معاشك الذى لا تستغنى عن الاستعانة به على معادك ، فان عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس ، وكنت لاتسلم، فالعزلة أولى فعليك بها ففيها النجاة والسلامة ، فان كانت الوساوس فى العزلة تجاذبك الى مالا يرضي الله تعالى ولم تقدر على قمعها بوظائف العبادات فعليك بالنوم فهو احسن احوالك واحوالنا اذا عجزنا عن الغنيمة رضينا بالسلامة فى الهزيمة (١٠٥) فأخس (١٠٦) بحال من سلامة دينه فى تعطيل حياته اذ النوم اخو الموت ، وهو تعطيل الحياة والتحاق بالجمادات (١٠٧) .

---

(١٠٥) اى فى حال هزيمتنا نرضي أن نعود سالمين .

(١٠٦) صيغة تعجب ، اى ما أخس هذه الحالة وما أنقصها ، وفى بعض النسخ ما أخس حال من سلامة دينه فى تعطيل حياته ، يريد أنه لم ينج من الحرام الا بالنوم الذى لا عمل فيه .

(١٠٧) ونحن ننام لنستريح من المشقة ونستعد لعمل جديد ، والنوم فى هذه الحال عبادة أيضا ، وليس موتا ووقتا ضائعا .

آداب الاستعداد لسائر الصلوات

ينبغى أن تستعد لصلاة الظهر قبل الزوال ، فتقدم القيلولة (١٠٨) ان كان بك قيام فى الليل ، او سهر فى الخير ، فان فيها معونة على قيام الليل ، كما ان فى السحور معونة على صيام النهار ، والقيلولة من غير قيام بالليل كالسحور من غير صيام بالنهار ، فاذا قلت فاجتهد ان تستيقظ قبل الزوال ، وتتوضأ وتحضر المسجد وتصلى تحية المسجد ، وتنتظر المؤذن فتجيبه ، ثم تقوم فتصلى أربع ركعات عقب الزوال ، كان رسول الله ﷺ يطولهن ويقول : هذا وقت تفتح فيه أبواب السماء ، فاحب أن يرفع لى فيه عمل صالح (١٠٩) ، وهذه الاربع قبل الظهر سنة مؤكدة ، ففى الخبر من صلاهن فأحسن ركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف ملك يستغفر له الى الليل ، ثم صل الفرض مع الامام ، ثم صل بعد الفرض ركعتين فهما من الرواتب الثابتة (١١٠) ، ولا تشتغل الى العصر الا بتعلم علم أو اعانة مسلم ، أو قراءة قرآن ، أو سعى فى معاش لتستعين به على دينك ، ثم صل اربع ركعات قبل العصر فهى سنة مؤكدة ، فقد قال رسول الله ﷺ : رحم الله امرا صلى اربعا قبل العصر ،

---

(١٠٨) هى النوم نهارا للاستعانة به على قيام الليل .

(١٠٩) ما قبل الظهر وقت غفلة عن العبادة ، واداؤها فيه مشكور ، وهذا افضل أوقات النهار للعبادة .

(١١٠) ثبت ورودها عن رسول الله ، وما زيد عليها فهو مجرد نافلة ، والمالكية يقولون ان السنة الثابتة أربع قبل الظهر واربع بعده —

فاجتهد ان ينالك دعاؤه ﷺ (١١١) ، ولا تشتغل بعد العصر الا بمثـل ما سـبق قبله ، ولا ينبغى ان تكون أوقاتك مهملة فتشتغل فى كل وقت بما اتفق كيف اتفق ، بل ينبغى أن تحاسب نفسك وترتب أورادك فى ليلك ونهارك ، وتعين لكل وقت شغلا لا تتعـداه ، ولا تؤثر فيـه سـواه ، فبذلك تظهـر بركة الأوقات (١١٢) ، فاما اذا تركت نفسك سـدى مهملا أهمال البهائم لا تدرى بماذا تشتغل فى كل وقت فينقضي اكثر أوقاتك ضائعا ، وأوقاتك عمرك ، وعمرك رأس مالك ، وعليه تجارتك وبه وصولك الى نعيم دار الأبد فى جوار الله تعـالى ، فكل نفس من انفاسك جوهرة لا قيمة لها ، اذ لا بدل له ، فاذا فات فلا عود له ، فلا تكن كالحمقى المغرورين الذين يفرحون كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم ، فأى خير فى مال يزيد وعمر ينقص ، ولا تفرح الا بزيادة علم أو عمل صالح ، فأنهما رفيقاك يصحبانك فى القبر حيث يتخلف عنك أهلك ، ومالك وولدك وأصدقائك .

ثم اذا اصفرت الشمس فاجتهد ان تعود الى المسجد قبل الغروب ، وتشتغل بالتسبيح والاستغفار ، فان فضل هذا الوقت

---

(١١١) اى دعاؤه بالرحمة .

(١١٢) هـذه النصيحة من اثمن مـا يعتز به ، ومشهورو العلماء ، ومن تركوا آثارا علمية أو فكرية لم يصلوا الى ما وصلوا اليه الا بتنظيم أوقاتهم ، وشغلها كلها فى نظام مرتب ، وما خسر النشء شيئا بمثل ما خسروا من ضياع الوقت لعدم اعداد أعمال نافعة فى جدول مرتب .

كفضل ما قبل الطلوع ، قال الله تعالى : ·· وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها »(١١٣) ·

واقرأ قبل غروب الشمس (أربع سور من القرآن) هى : والشمس وضحاها ، والليل اذا يغشي ، والمعوذتين (١١٤) · ولتغرب عليك الشمس وأنت فى الاستغفار ، فاذا سمعت الاذان فاجبه ، وقل بعده اللهم انى اسألك عنـد اقبـال ليلك وادبار نهـارك وحضور صلاتك ، وأصـوات دعاتك ان تؤتى محمدا الوسيلة ، ـ الدعاء كما سبق (١١٥) ـ ثم صل الفرض ـ بعد جواب المؤذن والاقامة ، وصل بعده قبل ان تتكلم ركعتين ، فهما راتبتا المغرب ، وان صليت بعدهما اربعا تطيلهن ، فهن أيضا سنة ، وان امكنك ان تنوى الاعتكاف الى العشاء (١١٦) ،

---

(١١٣) الآية من سورة طه : وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضي »

(١١٤) بصفة اسم الفاعل ·

(١١٥) ص ·

(١١٦) يريد المكث فى المسجد مع الاشتغال بالعبادة ، وليس هـذا هو الاعتكاف الحقيقى ، اذ الاعتكاف يوم وليلة يبدأ بالغروب وينتهى به· وصلاة عشرين ركعة بين العشاءين تسمى صلاة الاوابين ، وقال فى الاحياء أن من كان بيته قريبا من المسجد فلا باس ان يؤدى به هذه الصلاة وان لم ينو اعتكافا ، وقد كره العباد النوم بعد المغرب وقبل العشاء ، وقال أنس بن مالك : انها السـاعة المرادة بقوله تعـالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، اى تتجـافى لذكـر الله أما لذكر لسانى وقـراءة قرآن ، او فى صلاة ·

وتحيى ما بين العشاءين بالصلاة فافعل ، فقد ورد فى فضل ذلك مالا يحصي ، وهى ناشئة الليل ، لانه اول نشاة ، وهى صلاة الأوابين ، وسئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع .. » ، فقال هى الصلاة مابين العشاءين ، فانها تذهب بملاغات النهار ، والملاغات جمع ملغاة (١١٧) ، وهى من اللغو .

فاذا دخل وقت العشاء فصل اربع ركعات قبل الفرض احياء لما بين الاذانين ، ففضل ذلك كثير ، وفى الخبر ان الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد ، ثم صل الفرض وصل الراتبة ركعتين ، واقرا فيهما سورة الم السجدة ، وتبارك الملك ، او سورة يس والدخان (١١٨) ، فذلك مأثور عن رسول الله ﷺ . وصل بعدهما أربع ركعات ، ففى الخبر ما يدل على عظم فضلهن ، ثم صل الوتر بعدها ثلاثا بتسليمتين ، أو بتسليمة واحدة (١١٩) . وكان رسول الله ﷺ يقرأ فيها سورة سبح اسم

---

(١١٧) بفتح الميم مصدر ميمى من اللغو ، وضبطت ملاغات بضم الميم ، ولا نرى لها وجها ، وانما هى جمع ملاغة ، أو ملغاه .

(١١٨) ويستحب قراءة هذه السور قبل النوم ولو لغير صلاة . وورد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ قبل نومه تبارك الذى بيده الملك ، وسورة السجدة .

(١١٩) يريد اما أن تصلى ركعتى الشفع ثم ركعة الوتر كلا على حدة ، أو تؤدى الركعات الثلاث مرة واحدة .

ربك الأعلى ، وقل يأيها الكافرون ، والاخلاص والمعوذتين ، فان كنت عازما على قيام الليل فأخر الوتر ليكون آخر صلاتك بالليل وترا ، ثم اشتغل بعد ذلك بمذاكرة علم او مطالعة كتاب ، ولا تشتغل باللهو واللعب فيكون ذلك خاتمة أعمالك قبل نومك، فانما الأعمال بخواتيمها .

آداب النـــوم

فاذا اردت النوم فابسط فراشك مستقبل القبلة (١٢٠) ، ونم على يمينك كما يضطجع الميت فى لحده (١٢١) . واعلم ان النوم مثل الموت ، واليقظة مثل البعث ، ولعل الله تعـالى يقبض روحك فى ليلتك ، فكن مستعدا للقائه ، بان تنام على طهارة ، وتكون وصيتك مكتوبة تحت رأسك ، وتنام تائبا من الذنوب مستغفرا (١٢٢) عازما على الا تعـــود الى معصية ، واعزم على الخير لجميع المسلمين ان بعثك الله تعالى ، وتذكر انك ستضجع فى اللحد كذلك وحيدا فريدا ليس معك الا عملك،

---

(١٢٠) القبلة مضاف اليه ، وفى نسخ أخرى مستقبلا القبلة .

(١٢١) وفى حال الاحتضار توضع قدمـا الميت جهـة القبلة ليكون وجهه نحوها .

(١٢٢) ومن صيغ الاستغفار المأثورة : « استغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم واتوب اليه ثلاثا ».

ولا تجزى الا بسعيك (١٢٣) ولا تستجلب النوم تكلفا بتمهيد الفرش الوطيئة ، فان النوم تعطيل للحيـاة(١٢٤) ، الا اذا كانت وبالا عليك فنومك سلامة لدينك .

واعلم ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة ، فلا يكن نومك بالليل والنهار اكثر من ثمانى ساعات ، فيكفيك ان عشت مثلا ستين سنة أن تضيع منها عشرين سنة ، وهو ثلث عمرك ، واعد عند النوم سواكك وطهورك (١٢٥) واعزم على قيـــام الليل أو على القيام قبل الصبح (١٢٦) ، فركعتان فى جوف الليل كنز من كنوز البر ، فاستكثر من كنوزك ليوم فقرك ، فلن تغنى عنك كنوز الدنيا اذا مت .

وقل عند نومك : باسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه فاغفر لى ذنبى اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك ، اللهم

---

(١٢٣) تذكر الموت مما يعين على التوبة وحسن النية ، ومما ورد من الدعاء : اللهم احفظنى فى نومى كما حفظتنى فى يقظتى ، اللهم ان توفيتنى فتوفنى على الاسلام ، وان أحييتنى فاحينى على خير ما تحيى عليه عبادك الصالحين . ثم يستغفر .

(١٢٤) قطع عن العمل وعن العبادة ، ونحن نلجأ اليه للضرورة كى تتقوى أجسادنا على العمل .

(١٢٥) الماء الذى تتطهر به ، والسواك مندوب عند النوم وعند اليقظة ، فان لم يكن سواك فتنظيف الفم والاسنان بالفرشاة كاف .

(١٢٦) فمن أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم من الليل للصلاة فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى ، وكان نومه صدقة عليه من الله ،

باسمك احيا واموت ، اعوذ بك اللهم من شر كل ذى شر ، ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها (١٢٧) ، ان ربى على صراط مستقيم ، اللهم انت الاول فليس قبلك شيء ، وانت الآخر فليس بعدك شيء ، وانت الظاهر فليس فوقك شيء ، وانت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنى الدين ، واغننى من الفقر ، اللهم انت خلقت نفسي وانت تتوفاها ، لك مماتها ومحياها ، ان امتها فاغفر لها ، وان احييتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ، اللهم انى اسالك العفو والعافية (١٢٨) فى الدين والدنيا والآخرة ، اللهم ايقظنى فى احب الساعات اليك ، واستعملنى باحب الاعمال اليك ، لتقربنى اليك زلفى ، وتبعدنى عن سخطك بعدا ، اسالك فتعطينى ، واستغفرك فتغفر لى ، وادعوك فتستجيب لى (١٢٩) ثم اقرأ آية الكرسي ، وآمن الرسول الى آخر السورة ، والاخلاص والمعوذتين وتبارك

---

(١٢٧) من شر كل ذى حى ، فكل مادب على الارض فهو دابة ، والله تعالى آخذ بنواصي عباده .

(١٢٨) العفو : المسامحة فى الذنوب ، والعافية القوة والنشاط على عمل الخير ، والعافية ايضا بمعنى السلامة والوقوع فى الشدائد .

(١٢٩) كل ذلك كناية عن رضا الله تعالى ومحبته لان الله تعالى اذا رضى عن عبد أعطاه ذلك .

الملك(١٣٠) ويأخـــذك النـوم وأنت على ذكـر الله وعـلى الطهارة (١٣١)٠٠

فمن فعل ذلك عرج بروحه الى العرش ، وكتب مصـليا الى ان يستيقظ (١٣٢) ،فاذا استيقظت فارجع الى ماعرفتك اولا ، وداوم على هذا الترتيب (١٣٣) بقيـــة عمرك ، فان شقت عليك المداومة فاصبر صـبر المريض على مرارة الدواء انتظارا للشفاء (١٣٤) ، وتفكر فى قصر عمرك (١٣٥) وان عشت مثلا مائة سنة فهى قليلة بالاضافة الى مقامك فى الدار الآخرة وهى ابد الآباد ، وتأمل انك كيف تتحمل المشقة والذل فى طلب الدنيا شهرا أو سنة رجاء ان تستريح بها عشرين سنة

---

(١٣٠) ثم ينفث ، أى ينفخ نفخا لطيفا فى يديه ويمســـح بهما جسده ٠

(١٣١) واذا تنبه النائم فى صباحه أو لعارض قـال : لا الـه الا أنت الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار ، ويجمل بمن يستطيع الرجوع الى كتاب الاحياء ، أن يراجع أدعية النوم هنـاك كما نود للناشئة حفظ ما يستطيعون من هذه الادعية ٠

(١٣٢) وهذا من أسباب طهارة الباطن ، وتهيئة الرؤيا الصادقة ٠

(١٣٣) توظيف هذه الادعية والاعمال ٠

(١٣٤) الضجر من أدائها كالمرض ، والمداومة عليها ، وتكلف أدائها بجعلها مألوفة ٠

(١٣٥) فى نسخة أو تفكر ، وهذا التفكر مما يعين على أداء هذه العبادات وغيرها ٠

مثلا ، فكيف لا تتحمل ذلك أياما قلائل رجاء الاستراحة ابد الآباد ، ولا تطول أملك (١٣٦) فيثقل عليك عملك ، وقد قرب الموت ، وقل فى نفسك : انى أتحمل المشقة اليوم فلعلى أموت الليلة ، واصبر الليلة فلعلى اموت غدا ، فان المـــوت لا يهجم فى وقت مخصوص ، وحال مخصوص ، فلابد من هجومه ، فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا ، وأنت تعلم أنك لا تبقى فيها الا مدة يسيرة ، ولعله لم يبق من اجلك الا يوم واحد ، أو نفس واحد . فقـــدر هـــذا فى قلبك كل يوم (١٣٧) ، وكلف نفسك الصبر على طاعة الله يوما فيوما ، فانك لو قدرت البقاء خمسين سنة ، والزمتها الصبر على طاعة الله تعالى ففزت واستعصت عليك (١٣٨) .

فان فعلت (١٣٩) ذلك فرحت عند الموت فرحا لا اخر له ، وان ســـوفت ، وتســـاهلت جـاءك المـــوت فى وقت لا تحتســـبه (١٤٠) ، وتحسرت تحسرا لا آخر له ، وعنـــد

---

(١٣٦) فى أنك ستعيش طويلا وتعمل ، فالأمل فى طول العيش يحمل على التسويف .

(١٣٧) وصف الموت فى الحديث الشريف أنه تحفة أى هدية لانه خلاص من الدنيا ، وهى ذات مشقات ، والانسان فيها عرضة لمغريات الشيطان .

(١٣٨) ثابت ، لطول الزمن وكثرة العمل .

(١٣٩) كلفت نفسك الصبر على العبادة .

(١٤٠) لا تتوقعه .

الصباح يحمد القوم السرى ، وعند الموت يأتيك الخبر اليقين،
ولتعلمن نبأه بعد حين .

واذ ارشدناك الى ترتيب الأدوار ، فالنذكر لك كيفية
الصلاة والصوم وآدابهما ، وآداب الامامة والقدوة والجمعة .

آداب الصلاة

فاذا فرغت من طهارة الحدث وطهارة الخبث (١٤١) فى
البدن والثياب والمكان ومن ستر العورة من السرة الى الزكبة
فاستقبل القبلة (١٤٢) قائما مزاوجا بين قدميك(١٤٣)
لا تضمهما (١٤٤) ، واستو قائما (١٤٥) واقرأ قل

(١٤١) النجاسة .

(١٤٢) من كان أمام الكعبة ، او يستطيع رؤيتها فلابد أن يكون جسمه كله مواجها لها ، ومن كان بعيدا ويتعذر عليه ضبط جسمه نحوها كفى أن يتجه نحوها .

(١٤٣) المزاوجة هنا تعني أن يقف المصلي معتمدا عليهما معا ، وهما فى مستوى واحد لا تتقدم واحدة على الاخرى ، ولا يعتمد على واحدة دون الثانية . ويبعد ما بينهما بقدر شبر .

(١٤٤) نهى رسول الله ـ ﷺ عن الصفن ـ وهو رفع احدى الرجلين والوقوف على واحدة وعن الصفد ، وهو قرن القدمين ـ بدون فارق بينهما .

(١٤٥) وقف مستقيم الظهر .

اعوذ برب الناس » ، تحصنا بها من الشيطان الرجيم ، واحضر قلبك ما انت فيه ، وفرغه من الوسواس ، وانظر بين يدى من تقوم ، ومن تناجى ، واستح ان تناجى مولاك بقلب غافل ، وصدر مشحون بوساوس الدنيا وخبائث الشهوات . واعلم انه تعالى مطلع على سريرتك وناظر الى قلبك ، فانما يتقبل الله من صلاتك بقدر خشوعك وخضوعك وتواضعك وتضرعك . واعبده فى صلاتك كانك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك ، فان لم يحضر قلبك ولم تسكن جوارحك لقصور معرفتك بجلال الله تعالى ، فقدر أن رجلا صالحا من وجوه اهل بيتك ينظر اليك ليعلم كيف صلاتك ، فعند ذلك يحضر قبلك وتسكن جوارحك ، ثم ارجع الى نفسك وقل : يا نفس السوء الا تستحين من خالقك ومولاك ، اذ قدرت اطلاع عبد ذليل من عباده عليك ، وليس بيده ضرك ولا نفعك خشعت جوارحك وحسنت صلاتك ، ثم انك تعلمين أنه مطلع عليك ، ولا تخشعين لعظمته ، أهو - تعالى - عندك أقل من عباده ؟ فما اشد طغيانك وجهلك ، وما أعظم عداوتك لنفسك ! . وعالج قلبك بهذه الحيل فعسا (١٤٦) أن يحضر معك فى صلاتك، فانه ليس لك من صلاتك الا ما عقلت منها، وأما ما اتيت مع الغفلة والسهو فهو الى الاستغفار والتكفير احوج (١٤٧) ،

---

(١٤٦) كل ذلك . يكون قبل الدخول فى الصلاة تهيئة للقلب والنفس لها ، اذ ليس للمرء من صلاته الا ما عقل ، أى قلبك .

(١٤٧) أى أن الصلاة بقلب غائب وذهن شارد هى نفسها اثم .

فاذا حضر قلبك فلا تترك الاقامة ، وان كنت وحدك (١٤٨) ، وان انتظرت حضور جماعة فاذن ، ثم اقم ، فاذا اقمت فانو وقل فى قلبك أؤدى فرض الظهر لله تعالى ، وليكن ذلك حاضرا فى قلبك عند تكبيرك ، ولاتغرب عنك النية قبل الفراغ من التكبير (١٤٩) ، وارفع يديك عند التكبير - بعد ارسالهما أولا (١٥٠) - الى حذو منكبيك وهما مبسوطتان ، واصابعهما منشورة ، ولا تتكلف ضمهما ولا تفريجهما (١٥١) بحيث تحاذى بابهاميك شحمتى اذنيك ، وبكفيك منكبيك ، فاذا استقرتا فى مقرهما فكبر ، ثم أرسلهما برفق (١٥٢)، ولاتدفع يديك عند الرفع والارسال الى قدام دفعا ، ولا الى خلف رفعا، ولا تنفضهما يمينا ولا شمالا ، فاذا أرسلتهما فاستأنف رفعهما الى صدرك ، واكرم اليمنى بوضعها على اليسرى ، وانشر اصابع اليمنى على طول ذراعك اليسرى ، واقبض بها على كوعها ، وقل بعد التكبير : الله اكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا

---

(١٤٨) اقامة الصلاة من أعمال تهيؤ القلب لها ، فلا ينبغى أن تترك ، وان كانت الصلاة لا تبطل بتركها .

(١٤٩) غياب النية أثناء الصلاة أو الوضوء بان ينسى أنه فى صلاة. لا يفسد العبادة ، لكن غياب النية عند البداية يجعلها عبادة بلانية - فتفسد .

(١٥٠) يقوم المصلى ويداه مرسلتان الى جانبيه ، فاذا وقف للصلاة رفعهما كما وصف .

(١٥١) دع اليدين والاصابع على طبيعتها .

(١٥٢) يبدأ ارسال اليدين مع بداية التكبير .

وسبحان الله بكرة واصيلا ، ثم اقرأ ، « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما انا من المشركين(١٥٣) ان صلاتى ونسكى (١٥٤) ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا من المسلمين ، ثم قل : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم اقرأ الفاتحة بتشديداتها (١٥٥) واجتهد فى الفرق بين الضاد والظاء فى قراءتك فى الصلاة (١٥٦) وقل آمين ، ولا تصله بقولك : ولا الضالين وصلا ، واجهر بالقراءة فى الصبح والمغرب والعشاء ، اعنى فى الركعتين الأوليين الا ان تكون ماموما ، واقرأ فى الصبح بعد الفاتحة من السور الطوال من المفصل ، وفى المغرب من قصاره ، وفى الظهر والعصر والعشاء من اوساطه ، نحو والسماء ذات البروج وماقاربها من السور ، وفى الصبح فى السفر : قل يأيها الكافرون ، وقل هو الله احد (١٥٧) ،

---

(١٥٣) الآية من كلام سيدنا ابراهيم عليه السلام لقومه . وهى : « انى وجهت » ومعنى فطر السموات والأرض : خلق الكون كله ، ومعنى حنيفا مائلا وحائدا عن كل دين عدا الاسلام .

(١٥٤) نسكى عبادتى . والصلاة نسك ، وخصت بالذكر لما فيها من الخشوع والخضوع لله تعالى ، - ومعنى الآية له وحده عبادتى وهو الذى يملك حياتى وموتى .

(١٥٥) هذا للامام والفذ ، أما المأموم فانه يختصر الدعاء لكى ينصت الى قراءة الامام فى الصلوات الجهرية .

(١٥٦) اقرأ قراءة صحيحة واضحة الحروف ، ويتأتى هذا بالاناة فى القراءة .

(١٥٧) كل سورة فى ركعة كما هو واضح

ولا تصل آخر السورة بتكبيرة الركوع ، ولكن افصل بينهمـــا بمقدار سبحان الله ، وكن فى جميع قيـــامك مطرقا ، قاصرا نظرك على مصلاك ، فذلك أجمـع لهمـك (١٥٨) وأجـدر لحضور قلبك ، واياك ان تلتفت يمينا وشمالا فى صـــلاتك ، ثم كبر للركوع وارفع يديك كما سبق ، ومد التكبير الى انتهاء الركوع ، ثم ضع راحتيك على ركبتيك واصابعك منشـــورة ، وانصب ركبتيك ومد ظهرك وعنقك وراسك مستويا كالصحيفة الواحدة وجاف (١٥٩) مرفقيك عن جنبيك ، والمراة لا تفعـل ذلك ، بل تضم بعضها الى بعض (١٦٠) ، وقل : سبحان ربى العظيم ثلاثا ، وان كنت منفردا فالزيادة الى ســبع وعشرين حسن (١٦١) .

ثم ارفع راسك حتى تعتدل قائما ، وارفع يديك قائـلا : سمع الله لمن حمده ، فاذا اســـتويت قائما فقل : ربنا لك الحمد (١٦٢) ملء الســموات وملء الأرض (١٦٣) وملء

---

(١٥٨) لهمتك للصلاة وعزيمتك .

(١٥٩) باعد ذراعيك عن جنبيك .

(١٦٠) بعض اعضائها الى بعض فذلك أستر لها .

(١٦١) يكفى فى فرض الاطمئنان ان تقولها مرة واحدة ـ وذلك غير مستحسن لدلالته على عدم الرغبة فى اطالة الصلاة ـ ولا يزيد الامـــام عن الثلاث رفقا بالمامومين .

(١٦٢) الصيغة الفضلى : « ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبـــا مباركا فيه ، فقد ورد ان الملائكة تتسابق على حمل هذا الحمد الى السماء .

(١٦٣) فى نسخة : وملء ما بينهما .

ما شئت من شيء بعد ، وان كنت فى فريضة الحج فاقرأ القنوت فى الركعة الثانية ، فى اعتدالك من الركـــوع (١٦٤) ، ثم اسجد مكبرا غير رافع اليدين ، وضع اولا على الأرض ركبتيك ثم يديك ، ثم جبهتك مكشوفة (١٦٥) وضع انفك مع الجبهة ، وجاف مرفقيك عن جنبيك ، واقل بطنك عن فخذيك ، والمرأة لا تفعل ذلك ، وضـــع يديك على الأرض حـــذو منكبيك ، ولاتفرش ذراعيك على الأرض ، وقل : سبحان ربى الأعـــلى ثلاثا أو سبعا أو عشرا ، ان كنت منفردا ، ثم ارفع رأسك من السجود مكبرا حتى تعتدل جالســـا ، واجلس على رجلك اليسرى ، وانصب قدمك اليمنى ، وضع يديك على فخذيك ، والاصابع منشورة وقل : رب اغفـــرلى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى (١٦٦) وعافنى واعف عنى ، ثم اســجد

---

(١٦٤) القنوت عند المالكيــة قبل الركوع ، وصيغته عنــدهم وعند الحنفية : هى : اللهم انا نستعينك ونستهديك ونؤمن بك ، ونتوكل عليك ونثنى عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ، ونخنع لك ، ونخلع ونترك من يفجرك ، اللهم اياك نعبد ، ولك نصلى ونســـجد ، واليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخاف عذابك ان عذابك الجد بالكافرين ملحق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وتؤدى سرا ، وعند الشافعية ، هى : اللهم اهدنا فيمن هديت ، وهى معروفة تسمع كل يوم من الاذاعة . وتؤدى القنوت بكل دعاء ، لكن هاتين الصيغتين مأثورتان عن رسول الله .

(١٦٥) يكره السجود على طرف من العمامة أو أى غطـــاء على الجبهة لأنه ينافى الخشوع التام .

(١٦٦) اقلنى من عثراتى ، ومن كل غلبة تطرأ على .

سجدة ثانية كذلك • ثم اعتدل جالسا للاستراحة فى كل ركعة لا تشهد عقبها ، ثم تقوم وتضع اليدين على الأرض ، ولا تقدم أحدى رجليك فى حال الارتفاع(١٦٧) ، وابتدىء بتكبيرة الارتفاع عند القرب من حد جلسة الاستراحة ، ومدها الى انتصاف ارتفاعك الى قيامك (١٦٨) ، ولتكن هذه الجلسة جلسة خفيفة مختطفة (١٦٩) •

وصل الركعة الثانية كالأولى ، واعد التعوذ فى الابتداء ، ثم اجلس فى الركعة الثانية للتشهد الأول ، وضع اليد اليمنى فى جلوس التشهد الأول على الفخذ اليمنى مقبوضة الاصابع الا المسبحة (١٧٠) والابهام فترسلهما ، وانشر مسبحة يمناك عند قولك « الا الله » لا عند قولك « لا اله » • وضع اليد اليسرى منشورة الاصابع على الفخذ اليسرى ، واجلس على رجلك اليسرى فى هذا التشهد كما بين السجدتين ، وفى التشهد الأخير متوركا (١٧١) ، واستكمل الدعاء المعروف

---

(١٦٧) يرتفع المصلى بركبته وجسمه أولا ، ثم يرفع يديه من فوق الأرض أخيرا •

(١٦٨) الى انتصاف ارتفاعك لاجل القيام •

(١٦٩) هذا مذهب الشافعية ، يرفع المصلى يديه بعد السجود ، ويمكث لحظة ثم يقف ، على عكس ما يفعل المالكية •

(١٧٠) السبابة لانه يشير بها عند الشهادة •

(١٧١) التورك اذ يجلس على الارض باليته ، ويجعل رجله اليسرى تحت اليمنى ، واليمنى قائمة •

المأثور بعد الصلاة على النبى ﷺ (١٧٢) . واجلس فيه على وركك الأيسر ، وضع رجلك اليسرى خارجة من تحتك ، وانصب القدم اليمنى ، ثم قل بعد الفراغ : السلام عليكم ورحمة الله مرتين ، من الجانبين ، والتفت بحيث يرى بياض خدك من جانبيك ، وانو الخروج من الصلاة ، وانو السلام على من بجانبك من الملائكة والمسلمين وهذه هيئة صلاة المنفرد(١٧٣) .

وعماد الصلاة الخشوع (١٧٤) وحضور القلب مع القراءة (١٧٥) والذكر بالتفهم (١٧٦) قال الحسن البصرى - رحمه الله تعالى : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى الى العقوبة أسرع (١٧٧) .

---

(١٧٢) الدعاء مستحب ومستجاب بعد التشهد ، وعند نهاية الصلاة - قبل السلام - ومن المأثور ، اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم ، - قبل السلام - ومن المأثور ، اللهم انى اعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن نشر فتنة المسيح الدجال اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا كبيرا ، ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لى .

(١٧٣) يندب للمأموم أن يسلم ثلاث مرات - عن يمينه وأمامه ردا على الامام ، وعن يساره ويبدؤها كلها ووجهه نحو القبلة .

(١٧٤) ويساعد عليه سكون الجوارح ، فلا يحرك المصلى يديه لشيء، لخشعت جوارحه .

(١٧٥) متابعة معانى الآيات .

(١٧٦) تفهم كلمات التسبيح والاستغفار .

(١٧٧) تاتى بالعقوبة لعدم اتمامها ، اكثر مما تاتى بالثواب .

وقال رسول الله ﷺ : ان العبد ليصلى الصلاة فلا يكتب له منها سدسها ولا عشرها ، وانما يكتب للعبد من صلاته بقدر ما عقل منها .

آداب الامامة والقدرة

ينبغى للامام ان يخفف الصلاة (١٧٨) قال انس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ : ما صليت خلف احد صلاة اخف ولا أتم من صلاة رسول الله ﷺ ، ولا يكبر ما لم يفرغ المؤذن من الاقامة ، وما لم تستو الصفوف (١٧٩) ، ويرفع الامام صوته بالتكبيرات ، ولا يرفع المأموم صوته الا بقدر ما يسمع نفسه ، وينوى الامام الامامة لينال الفضل ، فاذا لم ينو صحت صلاة القوم اذا نووا الاقتداء به (١٨٠) ، ونالوا فضل القدوة .

ويسر (الامام) بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ، ويجهر بالفاتحة والسورة فى جميع الصبح ، وأوليى المغرب والعشاء ، وكذلك المنفرد ، ويجهر بقوله : « آمين » فى الجهرية ، وكذلك المأموم ، ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام معا (١٨١) ، تعقيبا له ، ويسكت الامام سكتة عقب

---

(١٧٨) لا يطلها ولكن يوفيها ويكملها .

(١٧٩) يسوى الصفوف أولا ثم يدخل الصلاة .

(١٨٠) يشترط المأموم نية الاقتداء ، أما الامام فيصح الاقتداء به بعد دخوله الصلاة وبعد ركعة ، وحتى ولو لم يشعر بمن خلفه .

(١٨١) هذا هو الموضع الوحيد الذى تجوز فيه مساواة المأموم امامه

الفاتحة ليثوب اليه نفسه (١٨٢) ، ويقرأ المأموم الفاتحة فى الجهرية فى هذه السكتة ، ليتمكن من الاستماع عند قـراءة الامام ، ولا يقرأ المأموم السورة فى الجهرية الا اذا لم يسـمع صوت الامام ، ولا يزيد الامام على ثلاث فى تسبيحات الركـوع والسجود ، ولا يزيد فى التشهد الأول بعد قوله « اللهـم صل على محمـد »(١٨٣) ويقتصر فى الركعتين الأخيرتين عـلى الفاتحة ، ولا يطول على القوم ، ولا يزيد دعاؤه فى التشـهد الأخير على قدر تشهده وصلاته على رسول الله - ﷺ - وينوى الامام عند التسليم السلام على القوم ، وينوى القوم بتسـليمهم جوابه ، ويلبث الامام ساعة (١٨٤) بعد ما يفرغ من السلام ويقبل على الناس بوجهه ، ولا يلتفت أن كان خلفه نساء (١٨٥) لينصرفن أولا ، ولا يقوم أحد من القوم حتى يقوم الامام .

وينصرف الامام حيث شاء عن يمينه أو شماله ، واليمين أحب الى ، ولا يخص الامام نفسه بالدعـاء فى قنـوت

---

(١٨٢) هى سكتة خفيفة للاستراحة واسترجاع انفاسه ، ويقصرها فى القراءة السرية ويطيلها فى الجهرية .

(١٨٣) بل يقف للركعة الثانية ، وعند المالكية يقف عقب الشهادة.

(١٨٤) لحظة بقدر ما يقول : اللهم انت السلام ومنك السلام ، تباركت ياذا الجلال والاكرام ، كما روى ذلك عن رسول الله .

(١٨٥) اذا كان اماما بنسـاء فقط بقى متجها للقبـلة ، لا يلتفت نحوهن ، حتى ينصرفن .

الصبح (١٨٦) بل يقول : اللهم اهدنا ، ويجهر به ، ويؤمن القوم ولا يرفعون أيديهم ، اذ لم يثبت ذلك فى الاخبار ، ويقرأ المأموم بقيـة القنـوت من قـوله « انك تقضي ولا يقضي عليك » (١٨٧) ولا يقف المأموم وحده (١٨٨) بل يدخل فى الصف ، او يجر الى نفسه غيره ، ولا ينبغى للمأموم أن يتقدم على الامام فى افعاله أو يساويه (١٨٩) ، بل ينبغى ان يتأخر عنه ، ولا يهوى (١٩٠) للركوع الا اذا انتهى الامام الى حـد الركوع ، ولا يهوى للسجود ما لم تصل جبهـة الامام الى الأرض (١٩١) .

---

(١٨٦) الدعاء للجميع دائما اقرب الى الاجابة ، والامام ينوب عن ماموميه فى القراءة ، وورد أنه ان فعل ذلك فقد خانهم ، أى لانه نائب عنهم فدعا لنفسه وتركهم .

(١٨٧) لان ذلك ثناء على الله ، فيقول المأموم سرا مع الامام .

(١٨٨) لا يقف وحده اذا كان له مكان فى الصف الذى أمامه .

(١٨٩) تقدمه على الامام حرام ، ومساواته مكروهة .

(١٩٠) لا ينحنى له ، والامام فى حال هوى ، بل يظل واقفا حتى يركع الامام ويستقر جسمه منحنيا .

(١٩١) حيث انه تابع يظل متاخرا ، واذا سبق امامه فى تكبيرة الاحرام أو فى السلام آخر الصلاة بطلت صلاته نهائيا .

آداب الجمعـــة

اعلم إن الجمعة عيد المؤمنين ، وهو يوم شريف خص الله ـ عز وجل ـ به هذه الأمـة (١٩٢) ، وفيه ســـاعة مبهمة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله تعالى فيها حاجة الا اعطـــاه اياها ، فاستعد (١٩٣) لها من يوم الخمس ، بتنظيف الثيـاب وبكثرة التسبيح والاستغفار عشية الخميس ، فانها ساعة توازى فى الفضل ساعة يوم الجمعة ، وانو صوم يوم الجمعة لكن مع الخميس او السبت (١٩٤) اذ جاء فى افراده نهى ، فاذا طلع عليك الصبح فاغتسل فان غسل الجمعة واجب على كل محتلم ، اى ثابت مؤكد ، ثم تزين بالثياب البيض فانهـــا احب الثياب الى الله تعالى ، واستعمل من الطيب اطيب ما عندك ، وبالغ فى تنظيف بدنك بالحلق والقص والتقليم والسواك وســـائر انواع النظـــافة وتطييب الرائحـــة (١٩٥) ، ثم بكر الى الجامع (١٩٦) ، واسع اليها على الهيئة (١٩٧) والسكينة ،

---

(١٩٢) ويوم الجمعة افضل من عيد الفطر وعيد الاضحى ، ولكن يوم عرفة افضل .

(١٩٣) هذا اول آدابها وتاتى بعده سنة اخرى .

(١٩٤) نهى رسول الله ﷺ عن افراد صـــوم يوم الجمعة فقال : لا يصم أحد يوم الجمعة الا ان يصوم قبله أو يصوم بعده ، وجاء أيضا : لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم .

(١٩٥) لغير المحرم والصائم .

(١٩٦) يبدأ وقت الذهاب الى المسجد من طلوع الفجر ، وليس للامام أن يتاخر الى وقت الخطبة .

(١٩٧) على الرفق والهدوء ، وهو بكسر الهاء .

فقد قال « ﷺ » : من راح الى الجمعة فى الســـاعة الأولى فكأنما قرب بدنه ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قــرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا اقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة (١٩٨) فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر ٠

ويقال ان الناس فى قربهم عند النظر الى وجه الله تعالى على قدر بكورهم الى الجمعة ، ثم اذا دخلت الجامع فاطلب الصف الأول ، فاذا اجتمع الناس فلا تتخط رقابهم ، ولا تمر بين أيديهم وهم يصلون ، واجلس بقرب حائط أو اســطوانة حتى لا يمروا بين يديك (١٩٩) ولا تقعد حتى تصلى التحية ، والاحسن أن تصلى أربع ركعـــات ، تقرأ فى كل ركعـــة بعد الفاتحة الاخلاص خمسين مرة ، ففى الخبر أن من فعل ذلك

---

(١٩٨) يقسم ما بين الفجر وخروج الامام للخطبة الى ستة اقسام متساوية ٠ كل قسـم له ثواب معين ، وهو المعنى بكلمة سـاعة ، وفى الحديث : ثلاث لو يعلم النـاس ما فيهن لركضـوا الابل فى طلبهن ، الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة ، قال ابن حنبل وهذا افضلهن ٠

(١٩٩) اجعل الحائط او الاسطوانة ساترا امامك ، فان لم يكن فضع بين يديك شيئا طوله نحو ذراع تحدد به موضع صلاتك ٠

لم يمت حتى يرى مقعده من الجنـــــة أو يرى له ، ولا تترك التحية وان كان الامام يخطب (٢٠٠) .

ومن السنة أن تقرأ فى أربع ركعات سورة الأنعام والكهف وطه ويسن ، فان لم تقدر فسورة يسن والدخان ، « والم » السجدة وسورة الملك . ولا تدع قراءة هذه السورة ليلة الجمعة ففيها فضل كثير (٢٠١) ، ومن لم يحسن ذلك فليكثر من قراءة سورة الاخلاص ، واكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ، فى هذا اليوم خاصة (٢٠٢) ، ومهما (٢٠٣) خرج الامام فاقطـــع الصلاة والكلام ، واشتغل بجواب المؤذن ثم استماع الخطبـــة والاتعاظ بها ، ودع الكلام رأسا فى الخطبة ، ففى الخبر أن من قال لصاحبة ـ والامام يخطب ـ : أنصت ، أو صه (٢٠٤)

---

(٢٠٠) هذا غير التعارف فى المذاهب الاخرى ، وطلب الشافعية تخفيف هاتين الركعتين ، وهما فاسدتان عند المالكية ، ولا تنعقد النية لهما ، ولا يخرج منهما بسلام لانهما لم تنعقدا ، ويأمر الامام من يصليهما بالجلوس ، ويبدأ منعهما من خروج الامام الى الخطبـــة ، ومن كان متلبسا بهما قبل خروجه خفف صلاته ، فقـــرأ الفاتحة فقط ، ونصف التشهد .

(٢٠١) ذكر فى الاحيـــاء فضائل كثيرة لهـــا بعضها دينى وبعضها دنيوى ، وبعضها فى بدن الشخص وصحته .

(٢٠٢) ويحسن الا تقل الصلاة عن ثلثمائة مرة ، ويندب قراءة سورة الكهف بما لا يقل عن ثلاث مرات .

(٢٠٣) متى خرج ، وعلى حال كنت انت وقت خروجه .

(٢٠٤) شك من الراوى ، وصه بمعنى اسكت .

فقد لغا ، ومن لغا فلا جمعة له ، اى لان قوله : انصت كلام ، فينبغى ان ينهى غيره بالاشارة لا باللفظ ، ثم اقتد بالامـــام كمـــا سبق .

فاذا فرغت وسلمت فاقرأ الفاتحة قبل ان تتكلم ســبع مرات ، والاخلاص سبعا ، والمعوذتين ســبعا سـبعا ، فذلك يعصمك من الجمعـــة الاخــرى ، ويكون حـــرزا لك من الشيطان (٢٠٥) ، وقل بعد ذلك : ياغنى يا حميد ، يامبدى يا معيد يارحيم ياودود ، اغننى بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك (٢٠٦) ، ثم صـــل بعد الجمعة ركعتين أو اربعا أو ستا ، مثنى مثنى ، فــكل ذلك مروى عن رسول الله ﷺ فى احوال مختلفة ، ثم لازم المسـجد الى المغرب أو الى العصر ، وكن حسن المراقبة للساعة الشريفة فانها مبهمة فى جميع اليوم فعساك ان تدركها وانت خاشع لله تعالى متذلل متضرع (٢٠٧) ، ولا تحضر فى الجامع مجالس

---

(٢٠٥) هذه القراءة تضطر الشخص الى المكث فى مصلاه ، وتمنحه التعود والصبر على اتقان العبادة .

(٢٠٦) ومن داوم على هذا الدعاء اغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب .

(٢٠٧) ويمكن مراقبة هـــذه الساعة فى غير المسجد ، والمهم هو عدم الاشتغال بلغو أو ما يلهى .

الحلق (٢٠٨) ولا مجالس القصاص ، بل مجلس العلم النافع ، وهو الذى يزيد فى خوفك من الله تعالى ، وينقص من رغبتك فى الدنيا ، فكل علم لا يدعوك من الدنيا الى الآخرة ، فالجهل أعود عليك منه . فاستعذ بالله من علم لا ينفع . واكثر الدعاء عند طلوع الشمس وعند الزوال ، وعند الغروب وعند الاقامة وعند صعود الخطيب المنبر (٢٠٩) ، وعند قيام النـــاس الى الصلاة ، فيوشك ان يكون الساعة الشريفـــة فى بعض هـــذه الاوقات ، واجتهد ان تتصدق فى هذا اليوم بما تقدر عليه وان قل ، فتجمع بين الصلاة والصوم والصدقة والقراءة والذكـــر والاعتكاف (٢١٠) ، والرباط (٢١١) ، واجعل هذا اليوم من الاسبوع خاصة لآخرتك (٢١٢) فعساه ان يكون كفارة لبقيـــة الاسبوع .

---

(٢٠٨) الحلق محذوفة من بعض النسخ ، والمراد حلقات القراءة الجماعية ، أما القراءة الفردية وحلقـــات الدرس والعلم فهى عبـــادة مشكورة .

(٢٠٩) الدعاء فى هذه الحالة بالقلب لا باللفظ ، لان الكلام حرام فى هذا الوقت ولغو

(٢١٠) الجوار .

(٢١١) ترقب الصلاة بعد الصلاة .

(٢١٢) اشـــغله كله بمراقبة الله تعـــالى وبالعبادة حتى وأنت فى عملك اليومى وعمل معاشك .

آداب الصيـــام

لا ينبغى ان تقتصر على صوم شهر رمضان فتترك التجارة بالنوافل (٢١٣) ، وكسب الدرجات العاليـــة فى الفراديس فتتحسر اذا نظرت الى منـــازل الصائمين ـ كما تنظـر الى الكواكب الدرية ـ وهم فى اعلى عليين .

والايام الفاضلة التى شهدت الاخبار بشرفها وفضلهـا ، وبجزالة الثواب فى صيامها ، يوم عرفة لغير الحاج (٢١٤) ، ويوم عاشوراء ، والعشر الأول من ذى الحجـــة (٢١٥) ، والعشر الأول من المحرم (٢١٦) ورجب وشـــعبان (٢١٧) وصوم الأشهر الحرم من الفضائل ، وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب . واحد فرد وثلاثة سرد ، وهذه فى السنة . واما فى الشهر فأول الشهر واوسطه وآخره ، والايام البيض

---

(٢١٣) المراد كسب الثواب بادائها فهى كالتجارة الرابحة .

(٢١٤) اذا وصل الحاج عرفة ليلا ومكث بها نهاره فلا كراهة لعدم المشقة .

(٢١٥) للخبر : « ما من أيام العمل فيهن افضل واحب الى الله عز وجل ، من ايام عشر ذى الحجة ، ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة ، وقيام ليلة منه يعدل ليلة القدر .

(٢١٦) فى الحديث : افضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل .

(٢١٧) لا يصـام شـعبان كله ، بل النصف الاول منه فقط وذلك استعدادا لصوم رمضان .

وهى الثالث عشر والرابع عشر والخـــامس عشر ، وأما فى الأسبوع فيوم الاثنين والخميس والجمعـــــة (٢١٨) • فتكفر ذنوب الاسبوع بصوم الاثنين والخميس والجمعة ، وتكفر ذنوب الشهر باليوم الأول واليوم الأوسط واليوم الآخر والأيام البيض وتكفر ذنوب السنة بصيام هذه الأيام والأشهر المذكـــــورة ، ولا تظن اذا صمت أن الصوم هو ترك الطعام والشراب والوقاع فقط ، فقد قال ﷺ : كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ، بل تمام الصوم بكف الجوارح كلها عما يكرهه الله تعالى ، بل ينبغى أن تحفظ العين عن النظر الى المـــكاره واللسان عن النطق بما لا يعنيك ، والاذن عن الاستماع الى ما حرمه الله ، فان المستمع شريك القائل وهو احد المغتابين ، وكذلك تكف جميع الجوارح كما تكف البطن والفـــرج ، ففى الخبر : خمس يفطرن الصائم : الكذب والغيبـــة والنميمة ، واليمين الكاذبة (٢١٩) والنظر بشهوة ، وقال ﷺ : انمـــا الصوم جنة (٢٢٠) ، فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث (٢٢١)

---

(٢١٨) وقد يكون يوم الاثنين أو الخميس أول الشهر أو من الايام البيض فيكون صيامه ذا ثواب مضـــاعف ، ويؤدى السنتين اذا نواهما الصائم ـ كما يدخل الشخص المسجد فينوى صلاة الضحى وتحية المسجد معـــا •

(٢١٩) هى داخلة فى الكذب ، وهى أشد أنواعه اذ يراد بهـــا اليمين الغموس ، وأى منها يذهب بثواب الصوم •

(٢٢٠) بضم الجيم • أى وقاية من الاعمال النسيئة ، ومن النار يوم القيامة ،

(٢٢١) لا يفحش بالنطق بكلام ساقط

ولا يفسق (٢٢٢) ولا يجهل (٢٢٣) فان مرؤ قاتله أو شـاتمه فليقل : انى صائم (٢٢٤) ، ثم اجتهد ان تفطر على طعـــام حلال ولا تسـتكثر فتزيد على ما تأكله كل ليلة فلا فـرق اذا استوفيت ما تعتاد ان تأكله دفعتين فى دفعة واحدة ، وانمـــا المقصود بالصيام كسر شهوتك ، وتضعيف (٢٢٥) قوتك لتقوى بها على التقوى (٢٢٦) ، فاذا أكلت عشية ما تداركت بــه ما فاتك ضحوة فلا فائدة فى صومك (٢٢٧) وقد ثقلت عليك معدتك ، وما وعاء أبغض الى الله تعالى من حـــلال (٢٢٨) فكيف اذا ملىء من حرام ، فاذا عرفت معنى الصوم فاستكثر منه ما استطعت ، فانه اساس العبادات ومفتاح القربات . قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : كل حسنة بعشر أمثالهـــا الى سبعمائة ضعف الا الصوم فانه لى وأنا أجــزى به (٢٢٩) ، وقال ﷺ : والذى نفسي بيده لخلوف (٢٣٠) فم الصائم أطيب

---

(٢٢٢) لا يرتكب شيئا من المحظورات .

(٢٢٣) لا يعتدى .

(٢٢٤) يقولها مرتين أو اكثر ليذكر نفسه أنه فى عبادة ، وليذكر خصمه أنه فى كنف الاخلاق ، وقد يقول ذلك فى نفسه زاجرا لها أن تقع فى محرم .

(٢٢٥) اضعافها .

(٢٢٦) اذا كففتها عن المعصية نشطت للتقوى .

(٢٢٧) لا يحدث به اضعاف الشهوة ولا زيادة القوة على الطاعة .

(٢٢٨) فى الحديث : ما ملا ابن آدم وعاء شرا من بطنه .

(٢٢٩) أى جزءا غير محدود .

(٢٣٠) بضم الخاء واللام ، رائحة الفم .

عند الله من ريح المسك ، يقول الله تعالى عز من قائل : انما يذر شهوته وطعامه وشرابه من أجلى ، فالصوم لى وأنا أجزى به ، وقال ﷺ : للجنة باب يقال له الريان (٢٣١) لا يدخله الا الصائمون (٢٣٢) .

فهذا القدر من شرح الطاعات يكفيك من بداية الهداية ، فاذا احتجت الى الزكاة والحج ، أو الى مزيد شرح الصلاة والصيام فاطلبه مما أوردناه فى كتابنا احياء علوم الدين (٢٣٣) .

---

(٢٣٣) حيث كان هذا الكتاب مفتاحا لكتاب « احياء علوم الدين » فانا نأمل لقارئيه أن يرجعوا الى ذلك الكتاب العظيم . وربع المنجيات منه ، به زيادات وتوضيحات لما ذكر هنا فى قسم الطاعات .

(٢٣١) سمى الريان ، ليناسب عطش الصائم .

(٢٣٢) وكل ما جاء فى جزاء الصوم يعنى به الصوم الكامل الذى لم ينقص بذنب ، واستوفى الصائم فيه شروطه .

القسم الثـانى

القول فى اجتناب المعاصي

اعلم أن للدين شطرين أحدهما ترك المناهى ، والآخـــر فعل الطاعات ، وترك المناهى هو الأشد (١) ، فان الطاعات يقدر عليها كل احد ، وترك الشـهوات لا يقـــدر عليـــه الا الصديقون (٢) ، فلذلك قال رسول الله ﷺ : المهاجر من هجر السوء (٣) ، والمجاهد من جاهد هواه (٤) . واعلم انك انما تعصي الله بجوارحك ، وهى نعمة من الله عليك وأمانة لديك ، فاستعانتك بنعمة الله على معصيته غاية الكفران (٥) وخيانتك فى أمانة استودعها الله غاية الطغيـان ، فأعضــاؤك رعاياك فانظر كيف ترعاها ، فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته .

واعلم ان جميع اعضائك ستشهد عليك فى عرصات (٦) القيامة بلسان طلق ذلق(٧) تفضحك به على رءوس الخلائق قال الله تعالى : يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهـــم بما كانوا يعملون ، وقال الله تعالى : اليوم نختم على افواههم

---

(١) الأصعب على النفس ، لما للشهوات من سلطان عليها .

(٢) صادقو الايمان والعزم .

(٣) من هجر ما نهى الله عنه .

(٤) دافع شهواته وغرائزه الدنيئة ، وهو جهاد دائم ، وهو اصل كل جهاد ، وهناك صفات خاصة ، هى : الحرص ، والشهوة ، والشح ، والطمع ، والكسل ، وأيضا الحقد والحسد ثم العجب والتكبر ، وسوء الظن والجدال ، فعلينا أن نحارب هذه المشاعر فى نفوسنا .

(٥) غاية الجحد .

(٦) ساحاتها .

(٧) فصيح منطلق .

وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون .. فاحفظ يا مسكين جميع بدنك من المعاصي ، وخصوصا اعضاءك السبعة فان جهنم لها سبعة ابواب لكل باب منهم (٨) جزء مقسوم ، ولا يتعين لتلك الأبواب الآمن عصا الله تعالى بهذه الأعضاء السبعة ، وهى : العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل (٩) .

أما العين فانما خلقت لك لتهتدى بها فى الظلمات وتستعين بها فى الحاجات وتنظر بها الى عجائب ملكوت الأرض والسموات وتعتبر بما فيها من الآيات ، فاحفظها عن أربع أن تنظر بها الى غير محرم (١٠) أو الى صورة مليحة ولا بشهوة نفس ، أو تنظر بها الى مسلم بعين الاحتقار ، أو تطلع بها على عيب مسلم .

وأما الأذن فاحفظها عن ان تصغى بها الى البدعة (١١) أو الغيبة أو الفحش (١٢) او الخوض فى الباطل ، او ذكر مساوى الناس ، فانما خلقت لك لتسمع بها كلام الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وحكمة أوليائه ، وتتوصل باستفادة العلم

---

(٨) من المذنبين .

(٩) قيل جعلت ابواب جهنم سبعة بعدد هذه الجوارح ، لكل معصية جارحة ولاصحابها باب جزء مقسوم منهم .

(١٠) الى أى أجنبية بشهوة

(١١) كالغناء الفاتن ، أو صوت أنثى مثير للشهوة .

(١٢) الكلام البذىء ، أو افشاء سر أو تجريح لمسلم .

بها الى الملك المقيم والنعيم الدائم (١٣) فى جوار رب العالمين، فاذا اصغيت بها الى شيء من المكاره صار ما كان لك عليك ، وانقلب ما كان سبب فوزك سبب هلاكك ، وهذا غاية الخسران، ولا تظن ان الاثم يختص به القائل دون المستمع ، ففى الخبر ان المستمع شريك القائل وهو احد المغتابين .

واما اللسان فانما خلق لتكثر به ذكر الله تعـــالى وتلاوة كتابه ، وترشد به خلق الله تعالى الى طريقه ، وتظهر به ما فى ضميرك من حاجات دينك ودنياك ، فاذا اســتعملته فى غير ما خلق له فقد كفرت نعمة الله تعالى فيه ، وهو اغلب اعضائك عليك وعلى سائر الخلق (١٤) ، ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم ، فاستظهر عليه بغاية قوتك حتى لا يكبك فى قعر جهنم ، ففى الخبر : ان الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها اصحابه فيهــوى بهـــا فى قعر جهنم ســـبعين خريفا (١٥) ، وروى أنه قتل شهيد فى المعركة على عهـــد رسول الله ﷺ فقال قائل (١٦) هنيئا له الجنة ، فقال ﷺ : وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ، ويبخل بمالا يغنيه.

---

(١٣) يريد الجنة .

(١٤) له عليك سلطان وبه تؤذى نفسك وتؤذى الناس .

(١٥) سبعين عاما ، اى مسافة تستغرق مشيه عاما .

(١٦) كان ذلك يوم احد ، وقد نفضت أم الفضل التراب عنــه ، وقالت ذلك . ومنه ترى أن خوض المرء فى كلام لا يفيده ولا يهمه مما يحبط عمله ، وكذا شح المرء بالصدقة بمال لا يحتاج اليه .

فاحفظ لسانك من ثمانية : الأول الكذب ، فاحفظ منه لسانك فى الجد والهزل ، ولا تعود لسانك الكذب هزلا فيتداعى الى الجد ، والكذب من أمهات الكبائر (١٧) ثم انك اذا عرفت بذلك سقطت عدالتك والثقة بقولك ، وتزدريك الأعين وتحتقرك (١٨) واذا اردت أن تعرف قبح الكذب من نفسك فانظر الى كذب غيرك ، والى نفرة نفسك عنه واستحقارك لصاحبه واستقباحك (١٩) ، وكذلك فافعل فى جميع عيوب نفسك ، فانك لا ترى قبح عيوبك من نفسك بل من غيرك ، فما استقبحته من غيرك يستقبحه غيرك منك لا محالة ، فلا ترض لنفسك ذلك .

الثانى : الخلف فى الوعد ، فاياك ان تعد بشيء ولا تفى به ، بل ينبغى أن يكون احسانك الى الناس فعلا بلا قول ، فان اضطررت الى الوعد فاياك أن تخلف الا لعجز أو ضرورة ، فان ذلك من امارات النفاق وخبائث الاخلاق ، قال النبى ﷺ : ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى ، من اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان .

---

(١٧) تنشأ عنه كبائر أخرى كثيرة .

(١٨) الازدراء والاحتقار بمعنى واحد ، وجاء بهما للتاكيد والتثبيت .

(١٩) تجده حقيرا مقبوحا .

(٢٠) وكما يحفظ اللسان عنها تصان الاذن عن سماعها .

الثالث الغيبة فاحفظ لسانك عنها (٢٠) والغيبة اشد من ثلاثين زنية فى الاسلام (٢١) كذلك ورد فى الخبر ، ومعنى الغيبة ان تذكر انسانا بما يكرهه لو سمعه ، فانت مغتاب ظالم وان كنت صادقا ، واياك وغيبة القراء المرائين (٢٢) وهو ان تفهم المقصود من غير تصريح فتقول : أصلحه الله فقد ساءنى وغمنى ما جرى عليه ، فنسأل الله تعالى ان يصلحنا واياه ، فان هذا جمع بين خبيثين احدهما الغيبة اذا حصل به التفهم ، والآخر تزكية النفس والثناء عليها بالتجريح (لغيرك) والصلاح (لنفسك) (٢٣) ، ولكن ان كان مقصودك من قولك أصلحه الله الدعاء فادع له فى السر ، وان اغتممت بسببه فعلامته انك لا تريد فضيحته واظهار عيبه ، وفى اظهارك الغم بعيبه اظهار تعييبه ، ويكفيك زاجرا عن الغيبة قوله تعالى : « ولا يغتب بعضكم بعضا ، ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه » فقد شبهك الله بآكل لحم الميتة (٢٤) ، فما اجدرك أن تحترز منها .

---

(٢١) اقبح من ارتكاب الزنا ثلاثين مرة ، وارجع الى الغيبة فى « كتاب الاحياء » - وهى لا تقتصر على الكلام ، بل قد تكون بالاشارة وبكل شيء يفهم .

(٢٢) اياك أن تقع فى الغيبة التى يقترفونها .

(٢٣) قد حدثت الغيبة بافهامك من يستمع اليك أن هذا الشخص يعمل مالا يحسن عمله .

(٢٤) وهذه الميتة هى لحم أخيك .

ويمنعك عن الغيبة أمر لو تفكرت فيه ، وهو ان تنظر فى نفسك ، هل فيك عيب ظاهر او باطن ؟ ، وهل انت مقارف معصية سرا أو جهرا ؟ فاذا عرفت ذلك من نفسك فاعلم ان عجزه عن التنزه عما نسبته اليه كعجزك ، وعذرة كعذرك(٢٥) وكما تكره أن تفتضح وتذكر عيوبك فهو أيضا يكرهه ، فان سترته ستر الله عليك عيوبك ، وان فضحته سلط الله عليك السنة حدادا ، يمزقون عرضك فى الدنيا ثم يفضحك الله فى الآخرة على رءوس الخلائق يوم القيامة ، وان نظرت الى ظاهرك وباطنك فلم تطلع فيهما على عيب ونقص فى دين ولا دنيا ، فاعلم ان جهلك بعيوب نفسك أقبح انواع الحماقة ، ولا عيب اعظم من الحمق (٢٦) ، ولو اراد الله بك خيرا لبصرك بعيوب نفسك ، فرؤيتك نفسك بعين الرضا غاية غباوتك وجهلك ، ثم أن كنت صادقا فى ظنك فاشكر الله تعالى

---

(٢٥) وجاء فى الاقوال المأثورة : اذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك ، وقال ابو هريرة : يبصر احدكم القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذع فى عين نفسه ، وهذا مما ذم به عيسي اليهود اذ قال لهم : يا أولاد الافاعى ، ترون القذاة فى اعين الناس ولا ترون الخشبة فى أعينكم .

(٢٦) لانه لا يخلو انسان من عيب ، وكلما ترقى الشخص شعر بعيوب أكثر، وبخوف من الله اشد ، والانسان يعرف عيب نفسه بقياسها على أخلاق الصالحين ، ووزنها بما أثر من السنة والقرآن ، وبتدبر ما يقوله اعداؤه فيه ، فان العدو أبصر بعيوب خصمه ومن الصالحين من كانوا يحبون أعداءهم لذلك .

عليه (٢٧) ولا تفسده شلب الناس ، والتمضمض بأغراضهم ، فان ذلك من أعظم العيوب .

الرابع المراء والجدال (٢٨) ومناقشة الناس فى الكلام، فذلك فيه ايذاء للمخاطب وتجهيل له ، وطعن فيه ، وفيه ثناء النفس وتزكية لها بمزيد الفطنة والعلم ، ثم هو مشوش للعيش (٢٩) ، فانك لا تمارى سفيها الا ويؤذيك ، ولا تمارى حليما الا ويقليك ويحقد عليك (٣٠) ، فقد قال ﷺ : من ترك المراء وهو مبطل (٣١) بنى الله له بيتا فى ربض الجنة (٣٢) ومن ترك المراء وهو محق (٣٣) بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة. ولا ينبغى أن يخدعك الشيطان ويقول لك : اظهر الحق ولا تداهن فيه ، فان الشيطان أبدا يستجر الحمقى الى الشر فى معرض الخير فلا تكن ضحكة للشيطان فيسخر منك ، فاظهار الحق حسن مع من يقبله منك ، وذلك بطريق النصيحة فى الخفية لا بطريق المماراة ، وللنصيحة صفة وهيئة ، ويحتاج

---

(٢٧) على ما ظننته وهو خلوك من العيوب .

(٢٨) هما بمعنى واحد غالبا ، وقيل المراء هو الطعن فى قول تسمعه ، والجدال قد يكون ابتداء ، ومعارضة لمذهب ، ولكن هذا ان كان التحقيق علمى فلاشىء فيه .

(٢٩) مكدر له ، اذ يخلق للشخص عداوة بوجه ما على ما شرحه .

(٣٠) يبغضك ويحمل لك فى نفسه حنقا وغيظا .

(٣١) كان رأيه باطلا وانقاد للحق ولم يجادل .

(٣٢) فى فنائها أو ما حولها .

(٣٣) وهو على حق فى رأيه .

فيها الى تلطف والا صارت فضيحة ، وكان فســـادها أكثر من صلاحها (٣٤) ومن خالط متفقهة العصر غلب على طبعه المراء والجدال ، وعسر عليه الصمت ، اذ القى اليه علماء السوء أن ذلك هو الفضل ، والقدرة على المحاجة والمناقشـــة هو الذى يمتدح به ، ففر منهم فرارك من الاسد (٣٥) ، واعلم ان المراء سبب المقت عند الله وعند الخلق •

الخامس تزكية النفس ، فقد قال الله تعالى : فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ، وقيل لبعض الحكماء : ما الصدق القبيح ؟ فقال : ثناء المرء على نفسه (٣٦) فاياك أن تتعـــود ذلك ، واعلم ان ذلك ينقص من قدرك عند الناس ، ويوجب مقتك عند الله تعالى (٣٧) فاذا اردت ان تعرف أن ثناءك على نفسك لا يزيد فى قدرك عند غيرك ، فانظـــر الى اقرانك اذا اثنوا على أنفسهم بالفضل والجاه والمال كيف يستنكره قلبـــك عليهم ، ويستثقله طبعك ، وكيف تذمهم عليه اذا فارقتهـــم ، فاعلم انهم أيضا فى حال تزكيتك لنفسك يذمونك فى قلوبهـــم ناجزا ، وسيظهرونه بألسنتهم اذا فارقتهم •

---

(٣٤) ما يترتب عليها من الفساد • أى كان افســـادها أكثر من اصلاحها •

(٣٥) كان القرن السادس مثار جدل مذهبى شديد ، والغزالى نفر من هذه الطريقة •

(٣٦) ذكر الانسان محاسن نفسه قبيح مع أنه صادق فيما يذكر •

(٣٧) لانه سبحانه نهى عن تزكية النفس •

السادس اللعن ، فاياك أن تلعن شيئا مما خلق الله تعالى من حيوان أو طعام أو انسان بعينه ، ولا تقطع بشهادتك على احد من أهل القبلة بشرك أو كفر او نفاق فان المطلع على السرائر هو الله تعالى ، فلا تدخل بين العباد وبين الله تعالى ، واعلم انك يوم القيامة لايقال لك لم لم تلعن فلانا ، ولم سكت عنه ، بل لو لم تلعن ابليس طول عمرك ، ولم تشغل لسانك بذكره لم تسأل عنه ولم تطالب به يوم القيامة ، واذا لعنت احدا من خلق الله تعالى طولبت به ، ولا تذمن شيئا مما خلق الله تعالى ، فقد كان النبى ﷺ لايذم الطعام الردىء قط ، بل كان اذا اشتهى شيئا أكله والا تركه .

السابع الدعاء على الخلق ، فاحفظ لسانك عن الدعاء على احد من خلق الله تعالى ، وان ظلمك ، فكل أمره (٣٨) الى الله تعالى ، ففى الحديث ان المظلوم ليدعو على ظالمه حتى يكافئه ثم يبقى للظالم فضل عنده يطالب به يوم القيامة ، وطول بعض الناس لسانه على الحجاج فقال بعض السلف (٣٩) : ان الله لينتقم للحجاج ممن تعرض له بلسانه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه .

---

(٣٨) اى اترك أمره .

(٣٩) هو ابن سيرين ، والحجاج له مظالم كثيرة قد تكون مدعاة عليه وانظر فى هذا العقد الفريد ، وشرح الشفاء .

الثامن المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس ، فاحفظ لسانك منه ، فى الجد والهزل ، فانه يريق ماء الوجه ويسقط المهابة ، ويستجر الوحشية (٤٠) ويؤذى القلوب وهو مبدأ اللجاج والغضب والتصارم (٤١) ويغرس الحقد فى القلوب ، فلا تمازح احدا ، فان مازحك احد فلا تجبه ، واعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، وكن من الذين اذا مروا باللعفو مروا كراما .

فهذه مجامع آفات اللسان ، ولا يعينك عليه الا العزلة أو ملازمة الصمت (٤٢) الا بقدر الضرورة ، فقد كان ابو بكر الصديق ــ رضي الله تعالى عنه ــ يضع حجرا فى فيه ليمنعه ذلك من الكلام بغير ضرورة ، ويشير الى لسانه ويقول : هذا الذى أوردنى الموارد . فاحترز منه بجهدك فانه اقوى أسباب هلاكك فى الدنيا والآخرة .

وأما البطن فاحفظه من تناول الحرام والشبهة ، واحرص على طلب الحلال ، فاذا وجدته فاحرص على أن تقتصر منه

---

(٤٠) بسبب الهم والخوف .

(٤١) التقاطع .

(٤٢) والعزلة وسيلة العاجز ، والقوى يمنع المنكر الذى يسمعه ، والصمت خير ان لم يكن بالمجلس حديث سوء ، وفى الحديث : من سره أن يسلم فليلازم الصمت ، ومن الحكم العربية : الصمت خير وقليل فاعله .

على ما دون الشبع ، فان الشبع يقسي القلب ويفسد الذهن ، ويبطل الحفظ ويثقل الأعضاء عن العبادة والعلم (٤٣) ويقوى الشهوات ، وينصر جنود الشيطان . والشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف من الحرام ، وطلب الحلال فريضة على كل مسلم ، والعبادة والعلم مع اكل الحرام كالبناء على السرجين (٤٤) .

. . .

. فاذا قنعت فى السنة بقميص خشن ، وفى اليوم والليلة برغيفين من الخشكار (٤٥) وتركت التلذذ باطيب الأدم ، لم يعوزك من الحلال ما يكفيك ، والحلال كثير ، وليس عليك أن تتيقن بواطن الأمور بل عليك أن تحترز مما تعلم انه حرام أو تظن انه حرام ظنا حصل من علامة ناجزة مقدرة بالمال ، أما المعلوم فظاهر ، وأما المظنون بعلامة فهو مال السلطان وعماله (٤٦) ، ومال من لا كسب له الا من النياحة أو بيع الخمر ، او الربا او المزامير ، وغير ذلك من آلات اللهو المحرمة فان من علمت أن اكثر ماله حرام قطعا ، فما تأخذه من يده

---

(٤٣) كل ذلك يؤيده العلم الحديث ، لان كظ البطن يوجه كميات من الدم الى المعدة لهضم الطعام ، فيفتر نشاط المخ ، كما أنه يولد الدهنيات وكثرة الشحم ، وملء المعدة بالطعام ينشأ عنه الفتور والكسل .

(٤٤) بكسر السين ، الروث .

(٤٥) الردىء من كل شيء .

(٤٦) يريد الحاكم الاعلى وموظفيه ، وفى زمنه كان المال كله بيد الحاكم ، وكان اعوانه يرتشون أحيانا ويختلسون وينهبون أحيانا ، ومنهم من لا يفعل فمالهم محل شك .

ـ وان أمكن ان يكون حلالا نادرا ـ فهو حرام ، لانه الغالب على الظن ، ومن الحرام المحض ما يؤكل من الأوقاف من غير شرط الواقف ، فمن لم يشتغل بالتفقه فما يأخذه من المدارس حرام ، ومن ارتكب معصية ترد بها شهادته ، فما يأخذه باسم الصوفية من وقف أو غيره فهو حرام (٤٧) ، وقد ذكرنا مداخل الشبهات والحلال والحرام فى كتاب مفرد من كتب احياء علوم الدين ، فعليك بطلبه فان معرفة الحلال وطلبه فريضة على كل مسلم ، كالصلوات الخمس (٤٨) .

وأما الفرج فاحفظه عن كل ما حرم الله تعالى ، وكن كما قال الله : « والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على ازواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين » .

ولا تصل الى حفظ الفرج الا بحفظ العين عن النظر ، وحفظ القلب عن التفكر ، وحفظ البطن عن الشبهة (٤٩) وعن الشبع ، فان هذه محركات للشهوة ومغارسها .

وأما اليدان فاحفظهما عن ان تضرب بهما مسلما (٥٠) أو

---

(٤٧) لانه أخذ هذا المال على وصف غير حقيقى ولا ثابت

(٤٨) وفى الحديث : طلب الحلال واجب على كل مسلم ، والمراد طلب معرفته وتمييزه من الحرام .

(٤٩) اكل المال الحرام أو المشبوه يهون ارتكاب المحرمات الاخرى

(٥٠) أى بغير وجه .

تتناول بهما مالا حراما ، او تؤذى بهما احدا من الخلق ، او تخون بهما فى امانة أو وديعة ، أو تكتب بهما مالايجوز النطق به ، فان القلم أحد اللسانين ، فاحفظ القلم عما يجب حفظ اللسان عنه .

وأما الرجلان ، فاحفظهما عن أن تمشي بهما الى حرام أو تسعى بهما الى باب سلطان ظالم ، فان المشي الى السلاطين الظلمة من غير ضرورة وارهاق معصية كبيرة ، فانه تواضع واكرام لهم على ظلمهم (٥١) . وقد أمر الله تعالى ، بالاعراض عنهم فى قوله تعالى : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار (٥٢) الآية ، وهو تكثير لسوادهم ، وان ذلك لسبب طلب مالهم فهو سعى الى حرام ، وقد قال ﷺ : من تواضع لغنى صالح لغناه ذهب ثلثا دينه ، وهذا فى غنى صالح ، فما ظنك بالغنى الظالم ؟ وعلى الجملة فحركاتك وسكناتك باعضائك نعمة من نعم الله تعالى عليك ، فلا تحرك شيئا منها فى معصية الله تعالى أصلا ، واستعملها فى طاعة الله تعالى .

واعلم أنك أن قصرت فعليك وباله (٥٣) وان شمرت (٥٤)

---

(٥١) لا يجوز تكريم الآثم ، والتكريم يغريه بالتمادى فى اثمه .

(٥٢)بقية الآية : وما لكم من دون الله من أولياء ، ثم لا تنصرون وهذا الختام يؤذن بان الركون اليهم اثم كبير ، وفى الخبر : خير الأمراء الذين ياتون العلماء ، وشر العلماء الذين ياتون الامراء .

(٥٣) وبال تقصيرك .

(٥٤) اجتهدت .

فاليك تعود ثمرته ، والله غنى عنك وعن عملك ، وانما كل نفس بما كسبت رهينة ، واياك ان تقول : ان الله كريم رحيم يغفر الذنوب للعصاة ، فان هذه كلمة حق اريد بها باطل ، وصاحبها ملقب بالحماقة ، بتلقيب رسول الله ﷺ : حيث قال « الكيس (٥٥) من ذان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والاحمق من اتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأمانى » واعلم ان قولك هذا أيضا هى قول من يريد ان يكون فقيها فى علوم الدين من غير أن يدرس علما واشتغل بالطالة وقال : ان الله كريم رحيم قادر على أن يفيض على قلبى من العلوم ما افاضه على قلوب انبيائه وأوليائه من غير جهد وتكرار وتعلم ، وهو كقول من يريد مالا فترك الحراثة (٥٦) والتجارة والكسب ويتعطل ، وقال : ان الله كريم رحيم وله خزائن السموات والأرض وهو قادر على أن يطلعنى على كنز من كنوز استغنى به عن الكسب ، فقد فعل ذلك لبعض عباده ، فانت اذا سمعت كلام هذين الرجلين استحمقتهما وسخرت منهما ، وان كان ما وصفاه من كرم الله تعالى وقدرته صدقا وحقا ، فكذلك يضحك عليك ارباب البصائر فى الدين اذا طلبت المغفرة بغير سعى لها ، والله تعالى يقول : وان ليس للانسان الا ما سعى » ويقول:

---

(٥٥) العاقل الفطن من قهر نفسه ، ومن أقوال الحسن البصرى : ان قوما الهتهم امانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا مفاليس وليست لهم حسنة ، فيقول احدهم انى أحسن الظن بربى ، وكذب لو أحسن الظن بربه لاحسن العمل له .

(٥٦) الزراعة .

« انما تجزون ما كنتم تعملون » ويقـــول : « ان الابرار لفى نعيم ، وان الفجار لفى جحيم » فاذا لم تكن تترك الســـعى فى طلب العلم والمال اعتمـــادا على كرمه . فكذلك لا تترك التزود للآخرة ، ولا تفتر ، فان رب الدنيا والآخرة واحد ، وهو فيهما كريم رحيم ، وليس يزيد له كرم بطاعتك وانمــــا كرمه سبحانه وتعالى فى أن ييسر لك طريق الوصول الى الملك المقيم والنعيم الدائم ، المخلد بالصبر على ترك الشهوات أياما قلائل (٥٧) وهذا نهاية الكرم ، فلا تحدث نفسك بتهويســـات البطالين (٥٨) ، واقتد بأولى العزم والنهى من الأنبيــــاء والصالحين ، ولا تطمع فى ان تحصد ما لم تزرع ، وليت من صام وصلى وجاهد واتقى غفر له (٥٩)

فهذه جمل مما ينبغى أن تحفظ عنه جوارحك الظاهرة ، واعمال هذه الجوارح انما تترشح من صفات القلب ، فان أردت حفظ الجوارح فعليك بتطهير القلب ، فهو تقوى البـــاطن ،

---

(٥٧) هى أيام الدنيا .

(٥٨) خرافات الذين لا يعملون .

(٥٩) فالمغفرة انما تاتى على قدر الاخلاص والاتقان وحسن التوجه بها الى الله ، والمغفرة بعد كل ذلك تفضل من الله ، وفى الحديث : لا يدخل احدكم الجنة بعمله ، أو لن يدخل احدكم عمله الجنة ، قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا أنا ، الا ان يتغمدنى الله برحمته .

(٦٠) المراد هنا حسن النية ، وطرح الاحقاد والضغائن

(٦١) ابدأ بمعالجة هذه النزعات الشريرة فى نفسك .

والقلب هو المضغة التى اذا صلحت صلح بها سائر الجسد (٦٠)
واذا فسدت فسد بها سائر الجسد ، فاشتغل باصلاحه لتصلح به
جوارحك ، وصلاحه يكون بملازمة المراقبة (٦٢)

القول فى معاصي القلب

اعلم ان الصفات المذمومة فى القلب كثيرة ، وطـــريق
تطهير القلب من رذائلها طويلة ، وسبيل العلاج فيها غامض ،
وقد اندرس بالكلية علمه وعمله (٦٣) ، لغفـلة الخـــلق عن
انفسهم واشتغالهم بزخارف الدنيا . وقد استقصينا ذلك كله فى
كتاب أحياء علوم الدين فى ربع المهلكات وربع المنجيات ، ولكنا
نحذرك الآن ثلاثا (٦٤) من خبائث القلب ، وهى الغالبة على
متفقهة العصر لتأخذ منها حذرك ، فانها مهلكات فى انفسها ، وهى
امهات لجملة من الخبائث سواها ، وهى الحسد ، والرياء والعجب ،
فاجتهد فى تطهير قلبك منها ، فان قدرت عليها فتعلم كيفية الحذر
من بقيتها من ربع المهلكات (٦٥) فان عجزت عن هذا فـأنت

---

(٦٢) مراقبة قوانين الله وقياس كل عمل عليها هو مباح أو غير
مباح .

(٦٣) علم هذا السبيل .

(٦٤) نحذرك من ثلاثة انواع منها .

(٦٥) الجزء الثالث من كتاب الاحياء يحوى قسم المهلكات ، وقسم
الى عشرة كتب ، بدأت بشرح عجائب القلب وتفصيل مداخل الشيطان اليه ،
والكتاب العاشر يتحدث عن الغـــرور ، وجاء فى الكتاب الخامس ذم
الغضب والحقد والحسد ، وفى الكتاب الثامن ذم الجاه والرياء ، وفى

عن غيره اعجز ، ولا تظن انك تسلم بنية صالحة فى تعلم العلم ، وفى قلبك شي ءمن الحسد والرياء ، والعجب ، وقد قال - ﷺ - : ثلاث مهلكات ، شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه .

اما الحسد فهو متشعب من الشح ، فان البخيل هو الذى يبخل بما فى يده على غيره ، والشحيح (٦٦) هو الذى يبخل بنعمة الله تعالى وهى فى خزائن قدرته تعالى - لا فى خزائنه - على عباد الله ، فشحه أعظم .

والحسود هو الذى يشق عليه انعام الله تعالى من خزائن قدرته ، على عبد من عباده بعلم أو مال أو محبة فى قلوب الناس ، أو حظ من الحظوظ ، حتى انه ليحب زوالها عنه ، وان لم يحصل له بذلك شيء من تلك النعمة ، فهذا منتهى الخبث (٦٧) فلذلك قال النبى ﷺ : الحسد يأكل الحسنات كما

التاسع ذم الكبر والعجب والحديث فبها جميعا نفسانى غاية فى دقة التحليل .

(٦٦) يريد الحسود الذى يتالم لنعم الله على عباده ولا نجد فرقا بين الشحيح والحسود ، الا ماذكره من مشاعره القلبية .

(٦٧) وقد قسم الحسد الى اقسام هذا أولها ، وثانيها تمنى زوال نعمة الغير اليه ، وثالثها أن يشتهى مثل هذه النعمة لنفسه ، أو تزول عن صاحبها حتى يتساويا ، والغبطة حسد غير مذموم ، وهى تمنى مثل مالغيره من النعمة ، ولكن لا يحب زوالها عن صاحبها ، وهذه قد تدفع الشخص الى العمل .

تأكل النار الحطب (٦٨) ، والحسود هو المعـــــذب الذى لا يرحم (٦٩) ، ولايزال فى عذاب دائم فى الدنيا فان الدنيا لا تخلو قط من خلق كثير من اقرانه ومعارفه ممن انعـــم الله عليهم بعلم أو مال أو جاه ، فلا يزال فى عذاب دائم فى الدنيا الى موته ، ولعذاب الآخرة اشد وكبر ٠

بل لا يصل العبد الى حقيقة الايمان ما لم يحب لسـائر الناس ما يحب لنفسه ، بل ينبغى ان يساهم (٧٠) المسلمين فى السراء والضراء ، فالمسلمون كالبنيان الواحد يشد بعضـه بعضا ، وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو اشتكى سـائر الجسد فان كنت لا تصادف هذا من قلبك ، فاشتغالك بطـلب التخلص من الهلاك أهم من اشتغالك بنوادر الفروع وعــلم الخصومات (٧١) ٠

وأما الرياء فهو الشرك الخفى (٧٢) ، وهو أحـــد الشركين ، وذلك طلب المنزلة فى قلوب الخلق ، لتنال بهـــا الجاه والحشمة ، وحب الجاه من الهوى المتبع ، وفيه هـــلك

---

(٦٨) لانه عدم رضا بعدل الله ٠

(٦٩) هو لا يرحم نفسه لانه يتألم لنعم الله على عباده وهى نعم لا تنفذ ٠

(٧٠) يشارك ٠

(٧١) يريد اعمل على تخليص نفسك من الحسد أولا ، فانه مهلك ٠

(٧٢) اعتبر من الشرك لان العبد به يعمل لغير الله ، ويترقب جزاءه من ثناء الناس ٠

أكثر الناس ، فما أهلك الناس الا الناس (٧٣) ، ولو انصف الناس حقيقة (٧٤) لعلموا ان أكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات فضلا عن اعمال العادات ، ليس يحملهم عليه الا مراعاة الناس ، وهى محبطة للأعمال ، كما ورد فى الخبر أن الشهيد يؤمر به يوم القيامة الى النار فيقول : يارب استشهدت فى سبيلك ، فيقول الله تعالى ، بل أردت ان يقال انك شجاع ، وقد قيل ذلك ، وذلك اجرك ، وكذلك يقال للعالم والحاج والقارىء (٧٥) .

واما العجب والكبر الفخر فهو الداء العضال(٧٦) وهو نظر العبد الى نفسه بعين العز والاستعظام ، والى غيره بعين الاحتقار والذل ، ونتيجته على اللسان أن يقول : انا وأنا كما قال ابليس اللعين : انا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين ، وثمرته فى المجالس الترفع والتقدم وطلب التصدر فيها ، وفى المحاورة الاستنكاف من أن يرد كلامه عليه ، والمتكبر هو الذى ان وعظ انف (٧٨) أو وعظ عنف (٧٩) ،

---

(٧٣) يقدر الشخص انسانا آخر قيرائيه فيهلك .

(٧٤) لو خبروا أنفسهم وبحثوا عن دوافع أعمالهم .

(٧٥) وأيضا للشهيد والثرى وغير هؤلاء ، ولكن هذه الثلاثة تكثر فيها المراءاة .

(٧٦) الذى لا تجد له دواء .

(٧٧) المحادثة .

(٧٨) استعظم أن يعلمه أحد .

(٧٩) اشتد ، لانه ينظر الى من يعلمهم نظرة ازدراء ، ويأبى أنه يراجع .

فكل من رأى نفسه خيرا من احد من خلق الله تعالى فهو متكبر ، بل ينبغى لك ان تعلم ان الخير (٨٠) من هو خير عند الله فى دار الآخرة ، وذلك غيب ، وهو موقوف على الخاتمة ؛ فاعتقادك فى نفسك انك خير من غيرك جهل محض ، بل ينبغى الا تنظر الى احد الا وترى أنه خير منك ، وان الفضل له (٨١) على نفسك ، فان رايت صغيرا قلت هذا لم يعص الله وانا عصيته ، فلا شك انه خير منى (٨٢) ، وان رايت كبيرا قلت هذا قد عبد الله قبلى (٨٣) ، فلاشك انه خير منى ، وان كان عالما قلت : هذا قد أعطى ما لم اعط ، وبلغ ما لم ابلغ وعلم ما جهلت ، فكيف اكون مثله (٨٤) ، وان كان جاهلا قلت : هذا قد عصي الله بجهل ، وانا عصيته بعلم (٨٥) فحجة الله على آكد ، وما ادرى بم يختم لى وبم يختم له ، وان كان كافرا قلت : لا أدرى ، عسي أن يسلم ويختم له بخير العمل ، وينسل باسلامه من الذنوب كما تنسل الشعرة من العجين ، واما انا والعياذ بالله ، فعسي ان يضلنى الله فاكفر فيختم لى بشر العمل ، فيكون غدا هو من المقربين ، وانا اكون من

---

(٨٠) الافضل من هو أفضل عند الله .

(٨١) له زيادة عليك فى عمل الخير .

(٨٢) تفصيل لطريقة اعتبار الآخرين خيرا منك

(٨٣) سبقنى بحكم سنه الى العبادة .

(٨٤) أى كيف اعتبر نفسي مثله ، وما من شخص ذى معرفة الا اطلع على شيء لم تتطلع أنت عليه .

(٨٥) وكل انسان له معصية . ولكن من عصي بعلم اشد جراة واكثر وقاحة .

المبعدين ، فلا يخرج الكبر من قلبك الا بأن تعرف ان الكبير من هو كبير عند الله تعالى ، وذلك موقوف على الخاتمة ، وهى مشكوك فيها فيشغلك خوف الخاتمة عن ان تتكبر مع الشك فيها على عباد الله تعالى ، فيقينك وايمانك فى الحال لا يناقض تجويزك (٨٦) ، التغير فى الاستقبال ، فان الله مقلب القلوب يهدى من يشاء ، ويضل من يشاء .

والأخبار فى الحسد والكبر والرياء والعجب كثيرة ، ويكفيك فيها حديث واحد جامع ، فقد روى ابن المبارك(٨٧) باسناده عن رجل انه قال لمعاذ : يا معاذ حدثنى حديثا سمعته من رسول الله ﷺ : قال : فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ، ثم سكت ، ثم قال : واشوقاه الى رسول الله ﷺ . والى لقائه ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ : يقول لى : يا معاذ ، انى محدثك بحديث ان انت حفظته نفعك عند الله ، وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله تعالى يوم القيامة(٨٨) يا معاذ ان الله تبارك

---

(٨٦) أى اعتباره جائزا ومحتملا ، ومن كان يخشي سوء الخاتمة كما ذكر لا يرى لنفسه أى فضل ، لانها مجهولة ، والكبر درجات أيضا كالحسد ، ولكن على الباحث عن الهداية أن يعلم أن النعمة تبعث على الكبر ، حتى جمال الشكل وحسن المنظر ، أو كثرة المال ونجابة الاولاد ، ولكن الكبر يزيل النعم ، لانه من المعاصي .

(٨٧) هو عبد الله بن المبارك المحدث العالم ، وروى هذا الحديث عن خالد بن معدان .

(٨٨) ومن بلغه هذا الحديث ، وجب أن يحفظه أيضا ، والا صار حجة عليه .

وتعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض ، فجعل لكل سماء من السبع ملكا بوابا عليها(٨٩) ، فتصعد الحفظه بعمل العبد من حين يصبح الى حين يمسي(٩٠) ، له نور كنور الشمس(٩١) ، حتى اذا صعدت به الى السماء الدنيا زكته وكثرته (٩٢) ، فيقول الملك الموكل بها للحفظة : اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، انا صاحب الغيبة(٩٣) ، امرني ربي الا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني ، الى غيرى ، قال : ثم تأتى الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد له نوز فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية(٩٤) ، فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا ، واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، انه اراد بعمله عرض الدنيا(٩٥) ، انا ملك الفخر ، امرني ربي الا ادع عمله يجاوزني الى غيرى ، انه كان يفتخر على الناس فى مجالسهم ،

---

(٨٩) خازنا .

(٩٠) وأيضا من حين يمسي الى حين يصبح ، وفى الحديث : ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، وكان ﷺ يردف صلاة المغرب بنوافلها ، ويقول انه وقت ترفع فيه الاعمال واحب أن ترفع أعمالى كاملة ، وقرآن الفجر ـ وهو القراءة فى صلاة الصبح ـ مشهود ، تشهده ملائكة الليل قبل صعودها ، وملائكة النهار حين نزولها.

(٩١) لانه عمل صالح .

(٩٢) اثنت الحفظة عليه ووصفته بالكثرة .

(٩٣) انا الموكل باحصاء الغيبة ومراقبتها ، وهذا الشخص مغتاب.

(٩٤) عمل لم يكن صاحبه مغتابا فيسمح ملك السماء الدنيا بمروره

(٩٥) أراد متاع الدنيا الذى يعرض ويزول

قال ، وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا(٩٦) ، من صدقة وصلاة وصيام ، قد أعجب الحفظة(٩٧) ، فيجاوزون به الى السماء الثالثة ، فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا ، واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، انا ملك الكبر أمرنى ربى الا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى ، انه كان يتكبر على الناس فى مجالسهم ، قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد بزهـــو كما يزهـــو الكوكب الدرى(٩٨) ، وله دوى من تسبيح وصلاة وصيام وحج وعمرة ، حتى يجاوزوا به الى السماء الرابعة ، فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا ، واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره وبطنه ، انا صاحب العجب ، أمرنى ربى ألا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان اذا عمل عملا أدخل العجب فيه ، قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به الى السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة الى بعلها فيقول الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، واحملوه على عاتقه ، انا ملك الحسد ، انه كان يحسد من يتعلم ويعمل بمثل عمله ، وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة كان يحسدهم ، ويقع فيهم ، أمرنى ربى الا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى، قال : وتصعد الحفظه بعمل العبد له ضوء

---

(٩٦) وقد خلا من الغيبة والفخر .

(٩٧) بعث اعجابهم به .

(٩٨) الكواكب الدرية ذوات نور وضاء ثاقب ، وقد جاء ذكرها فى توضيح نور الله تعالى : مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى ، وهذه الصفات كلها تفيد اتقان العبادة وجودتها ، ولكن يردها عيب خلقى .

كضوء الشمس ، من صلاة وزكاة وحج وعمرة وجهاد وصيام فيجاوزوا به الى السماء السادسة ، فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله اصابه بلاء (٩٩) أو مرض ، بل كان يشمت به ، انا ملك الرحمة ، امرني ربي الا ادع عمله يجاوزني الى غيري ، قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد من صوم ، وصلاة ، ونفقه وجهاد وورع له دوى كدوى النحل(١٠٠) ، وضوء كضوء الشمس ، ومعه ثلاثة آلاف ملك ، فيجاوزون به الى السماء السابعة ، فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا ، واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، واضربوا جوارحه واقفلوا به على قلبه ، انا صاحب الذكر فاني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي ، انه انما أراد بعمله غير الله تعالى ، انه اراد به رفعة عند الفقهاء ، وذكرا عند العلماء(١٠١) ، وصيتا في المدائن ، أمرني ربي الا ادع عمله يجاوزني الى غيري ، وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو رياء ، ولا يقبل الله عمل المرائي ،. قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت

---

(٩٩) ابتلاء في ماله او أولاده .

(١٠٠) دوى النحل كناية عن ترداده وكثرة الذكر فيه .

(١٠١) هذا الذكر والصيت يجعل له مكانة ، ويعود عليه بفوائد مادية ، فهو قد عمل عمله ابتغاء ثواب من غير الله ، لهذا لا يرفع اليه سبحانه .

وذكر لله تعالى ، فتشيعه ملائكة السموات السبع حتى يقطعو به الحجب كلها الى الله تعالى ، فيقفون بين يديه ، ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى ، فيقول الله تعـــالى : انتم الحفظة على عمل عبدى ، وانا الرقيب على ما فى قلبه ، انه لم يردنى بهذا العمل ، وانما اراد به غيرى ، فعليه لعنتى ، فتقول الملائكة كلها : عليه لعنتك ولعنتنا ، فتلعنه السموات السبع ومن فيهن ، ثم بكى معاذ وانتحب انتحابا شديدا (١٠٢) ، وقال معاذ ، قلت : يارسول الله انت رسول الله وانا معاذ (١٠٣) ، فكيف لى بالنجاة والخـلاص من ذلك ؟ قـــال : اقتـــد بى وان كان فى عمـــلك نقص (١٠٤) ، يا معـــاذ حـــافظ على لسانك من الوقيعة فى اخـــوانك من حمـــلة القـــرآن خاصة ، واحمـــل ذنوبك عليـــك (١٠٥) ، ولا تحملهـــا عليهم ، ولاتزل نفسك بذمهم ، ولا ترفع نفســـك عليهم ، ولا تدخل عمل الدنيا فى عمل الآخرة (١٠٦) ، ولا تـــراء بعملك ، ولا تتكبر فى مجلسك ، لكى يحذر الناس من ســـوء

---

(١٠٢) الانتحاب رفع الصوت بالبكاء .

(١٠٣) انت الكامل المبرأ من كل هذه العيوب ، وانت الذى ارسلت الينا لتعلمنا ، وانا معاذ العبد الخطاء . فارشدنى كيف انجو من هـــذه المهالك .

(١٠٤) ولو كان فى عملك نقص عن عملى .

(١٠٥) لا تتنصل من عيبك بالقاء اسبابه على غيرك .

(١٠٦) لا تجعل عمل الآخرة لنفع دنيوى .

خلقك (١٠٧) ، ولا تناج رجلا وعندك آخر (١٠٨) ولاتتعظم على الناس فتنقطع عنك خيرات الدنيا والآخرة ، ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار يوم القيامة فى النار ، قال الله تعالى : والناشطات نشطا ، هل تدرى من هن يامعاذ ، قلت : ما هن - بأبى انت وامى - يارسول الله ، قال : كلاب فى النار تنشط (١٠٩) اللحم من العظم ، قلت : بابى انت وامى يارسول الله ، من يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها ، قال : يامعاذ انه ليسير على من يسره الله تعالى عليه ، انما يكفيك من ذلك ان تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، فاذن انت يامعاذ قد سلمت (١١٠)

قال خالد بن معدان ، فما رأيت احدا اكثر تلاوة للقرآن العظيم من معاذ ، لهذا الحديث العظيم .

فتامل ايها الراغب فى العلم هذه الخصال ، واعلم

---

(١٠٧) لا تفعل ذلك لدرجة تجعل الناس يتقون لسانك .

(١٠٨) نهى ﷺ ان يتسار اثنان ومعهما ثالث ، هذا لانه يشعر بالوحشة منهما ويسىء بهما الظن .

(١٠٩) تنزعه وتفصله .

(١١٠) هذه صفات يتداخل بعضها فى بعض ، والتى تمنع من صعود العمل الى السماء وقبوله عند الله هى : الغيبة والفخر والكبر ، والعجب ، وعدم الاخلاص والرياء ، والوصايا التى جاءت فى كلام رسول الله ﷺ ترشد الى طريق البعد عنها ، ومن أحب للناس ما يجب لنفسه بحق نجا منها .

ان أعظم الاسباب فى رسوخ هذه الخبائث فى القلب : طلب العلم لاجل المباهاة والمنافسة ، فالعامى بمعزل عن اكثر هذه الخصال ، والمتفقه مستهدف لها ، وهو متعرض للهلاك بسببها (١١١) ، فانظر اى امورك اهم ، اتتعلم كيفية الحذر من هذه المهلكات ، وتشتغل باصلاح قلبك وعمارة آخرتك ، أم الأهم ان تخوض من الخائضين ، فتطلب من العلم ما هو سبب زيادة الكبر والرياء والحسد والعجب ، حتى تهلك مع الهالكين .

واعلم أن هذه الخصال الثلاث من أمهات خبائث القلب ، ولها مغرس واحد ، وهو حب الدنيا ، ولذلك قال النبى ﷺ : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، ومع هذا فالدنيا مزرعة للآخرة ، فمن اخذ من الدنيا بقدر الضرورة ، ليستعين بها على الآخرة ، فالدنيا مزرعته ، ومن أراد الدنيا ليتنعم بها ، فالدنيا مهلكته .

فهذه نبذة يسيرة من ظاهر علم التقوى ، وهى بداية الهداية . فان جربت بها نفسك وطاوعتك عليها ، فعليك بكتاب « احياء علوم الدين » لتعرف كيفية الوصول الى باطن التقوى . فاذا عمرت بالتقوى باطن قلبك ، فعند ذلك ترتفع الحجب بينك وبين ربك ، وتنكشف لك أنوار المعارف ،

---

(١١١) تعكس وصية الغزالى تجربته الخاصة فى مجاهدة نفسه ومعاناته من فقهاء عصره .

وتنفجر من قلبك ينابيع الحكم . وتتضح لك أسرار الملك والملكوت ، ويتسير لك من العلوم ما تستحقر به هذه العلوم المحدثة التى لم يكن لها ذكر فى زمن الصحابة ، رضي الله عنهم ، والتابعين .

وان كنت تطلب العلم من القيل والقال (١١٢)، والمراء والجدال ، فما اعظم مصيبتك وما أطول تعبك ، وما اعظم حرمانك وخسرانك ، فاعمل ما شئت فان الدنيا التى تطلبها بالدين لا تسلم لك (١١٣) ، والآخرة تسلب منك . فمن طلب الدنيا بالدين خسرهما جميعا ، ومن ترك الدنيا للدين ربحهما جميعا .

فهذه جمل الهداية الى بداية الطريق فى معاملتك مع الله تعالى باداء أوامره واجتناب نواهيه . وأشير عليك الآن بجمل من الآداب لتؤاخذ نفسك ، بها فى مخالطتك مع عباد الله تعالى ، وصحبتك معهم فى الدنيا .

---

(١١٢) من طريق الجدل ، ومقارنة الاقوال والآراء .

(١١٣) بل غالبا تذهب فى حياتك ، ومالها لا ينمو ويزكو به أولادك .

القول فى آداب الصحبة والمعاشرة

مع الخالق عز وجل ومع الخلق

اعلم ان صاحبك الذى لايفارقك فى حضرك وسفرك ونومك ويقظتك ، بل فى حياتك وموتك ، هو ربك وسيدك ومولاك وخالقك ، ومهما ذكرته (١١٤) فهو جليسك ، اذ قال الله تعالى : « انا جليس من ذكرنى .. » ومهما انكسر قلبك حزنا على تقصيرك فى حق دينك فهو صاحبك وملازمك (١١٥) ، اذ قال الله تعالى : انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلى ، فلو عرفته حق معرفته لاتخذته صاحبا وتركت الناس جانبا ، فان لم تقدر على ذلك فى جميع أوقاتك فاياك ان تخلى ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه لمولاك وتتلذذ معه بمناجاتك له ، وعند ذلك فعليك أن تتعلم آداب الصحبة مع الله تعالى .

وآدابها اطراق الراس وغض الطرف (١١٦) ، وجمع الهم (١١٧) ودوام الصمت ، وسكون الجوارح ، ومبادرة

---

(١١٤) على أى حال وفى أى وقت .

(١١٥) يساعدك على التوبة ويعينك على التخلص من المعصية .

(١١٦) من علامات الخشوع لله تعالى

(١١٧) شد العزم وجمعه للعبادات .

الأمر (١١٨) ، واجتناب النهى (١١٩) وقلة الاعتراض على القدر ، ودوام الذكر ، وملازمة الفكر ، وايثار الحق على الباطل ، والاياس عن الخلق (١٢٠) والخضوع تحت الهيبة (١٢١) والانكسار تحت الحياء والسكون عن حيل الكسب ثقة بالضمان (١٢٢) ، والتوكل على فضل الله تعالى معرفة بحسن الاختيار (١٢٣) وهذا كله ينبغى أن يكون شعارك (١٢٤) فى جميع ليلك ونهارك . فانها آداب الصحبة مع صاحب لايفارقك ، والخلق كلهم يفارقونك فى بعض أوقاتك ،

وان كنت عالما فآداب العالم الاحتمال (١٢٥) ، ولزوم الحلم ، والجلوس بالهيبة على سمت الوقار مع اطراق

---

(١١٨) الاسراع الى أداء العبادات ، وهذا من ثمار جمع الهم -

(١١٩) ترك كل شيء نهى الله عنه .

(١٢٠) اشعار النفس باليأس منهم .

(١٢١) خضوع ينشأ عن استشعار عظمة الله .

(١٢٢) المراد بهذا عدم اللجاج فى طلب الرزق من طرق غير مشروعة ، أما السعى للرزق فهو عبادة ، والكسب من الطرق الشريفة مما أمرنا به فى قول الله تعالى : فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه .

(١٢٣) الرضا بما يحدث وان كان على غير ما تحب .

(١٢٤) الشعار ما يلى الجسد من الملابس ، والمراد أن هذه الصفات يجب أن تكون لاصقة بك لصوق الشعار بالجسد .

(١٢٥) المفروض فى العالم أن يكون معلما ، والمعلم يتعرض لنقاش تلاميذه ومستمعيه ، ثم هو عرضه للنقد لان الناس ينشدون فيه الكمال.

الراس وترك التكبر على جميع العباد الا على الظلمة زجرا لهم عن الظلم ، وايثارا للتواضع فى المحافل والمجـــالس ، وترك الهزل والدعـــابة ، والرفق بالمتعـــلم ، والتـــأنى بالمتعجرف (١٢٦) ، واصلاح البليد بحسن الارشاد ، وترك الحرد (١٢٧) عليه وترك الأنفة من قول : « لا أدرى » ، وصرف الهمة الى السائل وتفهم سؤاله ، وقبول الحجـــة ، والانقياد للحق ، بالرجوع اليه عند الهفوة ، ومنع المتعلم عن كل علم يضره (١٢٨) ، وزجره عن أن يريد بالعـلم النافع غير وجه الله تعالى ، وصـــد المتعلم عن ان يشـــتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين ، وفرض عينه اصـــلاح ظاهره وباطنه بالتقوى ، ومؤاخذة نفســـه (١٢٩) ، أولا بالتقوى ليقتدى المتعلم اولا بأعماله ، ويســـتفيد ثانيا من اقواله .

وان كنت متعلما فآداب المتعلم مع العالم ان يبدأه بالتحية والسلام ، وان يقلل بين يديه الكلام ، ولا يتكلم ما لم يسأله استاذه ، ولايسأل ما لم يستأذن اولا ئ ولا يقول فى معارضـة

---

(١٢٦) غير المهذب ، والمدعى المعرفة .

(١٢٧) الغيظ والحقد .

(١٢٨) كالسحر والتنجيم .

(١٢٩) مؤاخذة العالم نفسه . فهذه سبع عشرة صفة بعضها أعم من بعض ، وهى بحق مما يجب أن يأخذ به العالم نفسه ليكون اكثر فائدة للناس ولنفسه .

قوله : فلان بخلاف ما قلت ، ولا يشير عليه بخلاف رأيه فيرى انه اعلم بالصواب من أستاذه ، ولايسأل جليسه فى مجلسه (١٣٠) ولا يلتفت الى الجوانب ، بل يجلس مطرقا ساكنا متأدبا كانه فى الصلاة ، ولا يكثر عليه السؤال عند ملله ، واذا قام قام له (١٣١) ولا يتبعه بكلامه وسؤاله (١٣٢) ، ولا يسأله فى طريقة الى ان يبلغ الى منزله ، ولايسيء الظن به فى افعال ظاهرها منكرة عنده ، فهو أعلم باسراره ، وليذكر عند ذلك قول موسي للخضر - عليهما السلام : أخرقتها لتغرق اهلها ، لقد جئت شيئا أمرا (١٣٣) ، وكونه مخطئا فى انكاره اعتمادا على الظاهر .

وان كان لك والدان فآداب الولد مع الولدين أن يسمع كلامهما (١٣٤) ، ويقوم لقيامهما ويمتثل لأمرهما (١٣٥)، ولا يمشي امامهما ،ولا يرفع صوته فوق اصواتهما ، ويلبى دعوتهما ، ويحرص على مرضاتهما ، ويخفض لهما جناح

---

(١٣٠) لان سؤاله جليسه قطع لسكون الدرس ، واساءة الى الاستاذ

(١٣١) تعظيما له .

(١٣٢) لان للعلم احترامه ولا يكون فى غير مجلسه ، وجملة الآداب هنا ١٣ .

(١٣٣) أمرا عجيبا منكرا .

(١٣٤) لا يقطع عليهما الكلام ، ولو كان كلامهما شتماله . وجملة الآداب التى ذكرت هنا مع الوالدين اثنا عشر .

(١٣٥) مالم يكن معصية لله .

الذل (١٣٦) ، ولا يمن عليهما بالبر لهما ولا بالقيام لأمرهما (١٣٧) ، ولا ينظر اليهما شذرا (١٣٨) ولا يقطب وجهه فى وجههما ، ولا يسافر الا باذنهما (١٣٩) .

واعلم أن الناس بعد هؤلاء (١٤٠) فى حقك ثلاثة أصناف ، اما أصدقاء ، واما معاريف ، واما مجاهيل (١٤١) فان بليت بالعوام المجهولين فآداب مجالسهم ترك الخوض فى حديثهم ، وقلة الاصغاء الى أراجيفهم (١٤٢) ، والتغافل عما يجرى من سوء الفاظهم ، والاحتراز عن كثرة لقائهم والحاجة اليهم (١٤٣) ، والتنبيه على منكراتهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم (١٤٤) .

واما الاخوان والاصدقاء فعليك فيهم وظيفتان :

---

(١٣٦) بمعنى اللين واظهار الطاعة رحمة بهما .

(١٣٧) هذا من أشنع ما يوصف ولد ، لانه مدين لابويه بمالا يستطيع الوفاء به .

(١٣٨) النظر بجانب العين دليلا على الضيق والغيظ .

(١٣٩) لانهما قد يكونان فى حاجة الى معونته .

(١٤٠) بعد العالم والمتعلم والوالدين .

(١٤١) جمع معروف ومجهول ، وجمع على مفاعيل ، مما لا يجوز فى اللغة العربية .

(١٤٢) لغوهم الذى لا يقطع بصحته .

(١٤٣) تحاشي ذلك ، ولتحاول قضاء حاجتك من غيرهم .

(١٤٤) لانهم لسوء تهذيبهم يسيئون من ينصحهم .

احداهما أن تطلب (١٤٥) . أولا — شروط الصحبة والصداقة . فلا تؤاخ الا من يصلح للأخوة والصداقة ، قال رسول الله ﷺ : المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (١٤٦) ، فاذا طلبت رفيقا ليكون شريكك فى التعلم ، وصاحبك فى أمر دينك ودنياك فراع فيه خمس خصال :

الأولى العقل : فلا خير فى صحبة الأحمق ، فالى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها ، وأحسن أحواله أن يضرك وهو يريد ان ينفعك ، والعدو العاقل خير من الصديق الأحمق (١٤٧) قال على رضي الله عنه :

فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى (١٤٨)
حليما حين آخاه

---

(١٤٥) تبحث عنها فى أخلاقهم ، فان لم تكن لديهم فلا تصاحبهم

(١٤٦) وقال أيضا : المرء مع من أحب ، وله ما اكتسب ، وقال سهل ابن عبد الله : اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس ، الجبابرة الغافلون ، والقراء المداهنون ، والمتصوفة الجاهلون .

(١٤٧) الصديق الاحمق يفشي اسرارك ويطلع الناس على أحوالك ، والعدو العاقل تستفيد من تفكيره ، وقالوا : مقاطعة الاحمق قربان الى الله .

(١٤٨) أهلك .

يقـاس المـرء بالمـرء
اذا مالمـرء ما شـاه
كحـذو النعـل بالنعـل
اذا ما النعـل حـاذاه
وللشيء مـن الشيء
مقـاييس واشـباه
وللقـلب عـلى القـلب
دليـل حـين يلقـاه

الثانية حسن الخلق : فلا تصحب من ساء خلقه ، وهو الذى لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة (١٤٩) وقد جمعه علقمة العطاردى (١٥٠) ـ رحمه الله تعالى ـ فى وصيته لابنه لما حضرته الوفاة فقال :

« يا بنى اذا أردت صحبة انسـان فاصحب من اذا خدمته صانك ، وان صحبته زانك ، وان قعدت بك مؤنة مانك (١٥١) . اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها (١٥٢) ، وان رأى منك سيئة

---

(١٤٩) وهناك من هم أسوأ من هذا ، وهم الذين لا يستقيمون على الدين .

(١٥٠) رجل من تميم غير مشهور .

(١٥١) مدك بالمؤونة .

(١٥٢) اذا احسنت اليه قدر احسانك .

سدها (١٥٣) ، اصحب من اذا قلت صدق قـــولك ، وان حاولت أمرا أمرك ، وان تنازعتما فى شر آثرك .

وقال على رضي الله عنه رجزا :

ان أخاك الحق من كان معــك
ومن يضر نفســـه لينفعـــك
ومن اذا ريب الزمـان صـدعك
شـــتت فيك شـــملة ليجمعك

الثالثة الصلاح

فلا تصحب فاسقا مصرا عـلى معصية كبيرة ، لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة ، ومن لا يخـــاف الله لا تؤمن غوائله ، بل يتغير بتغير الاحـوال والاعراض ، قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هـــواه وكان امره فرطا .. فاحذر صحبة الفاسق ، فان مشـــاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهية المعصية ، وتهون عليك أمرها (١٥٤) ، ولذلك هان على القـــلوب معصية الغيبة لا لفهم لها ، ولو رأوا خاتما من ذهب أو ملبوسا

---

(١٥٣) يعالج خطاك ، ويرشدك لاصلاحه .
(١٥٤) تجعلها شيئا مالوفة وهينة ، فنقع فيها .

من حرير على فقيه لاشتد انكارهم عليه ، والغيبة أشــد من ذلك .

الرابعة الا يكون حريصا على الدنيا :

فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل ، لأن الطبــاع مجبوله على التشبه والاقتداء ، بل الطبع يسرق من الطبــع من حيث لا يدرى ، فمجالسة الحريص تزيد فى حرصك ، ومجالسة الزاهد تزيد فى زهدك .

الخامسة الصدق :

فلا تصحب كذابا ، فانك منه على غرور ، فانه مثــله السراب ، يقرب منك البعيد ، ويبعد منك القريب .

ولعلك تعدم اجتماع هذه الخصال فى ســكان المدارس والمساجد (١٥٥) فعليك بأحد امرين : اما العزلة والانفراد ففيها سلامتك ، واما أن تكون مخالطتك مع شركائك بقــدر

---

(١٥٥) هـــذا مما يكشف عن استياء الغـــزالى من معاصريه ، والمفروض أن أصحاب المدارس والمساجد أجمع الناس لهذه الصفات ، ولكن كما قال فى غير هذا الموضع ، العلماء يتصفون بالغيرة وحبه السبق ، وقد نشد هو منهم الكمال والمثالية ، وذاك أمر عزيز الوجود .

خصالهم (١٥٦) ، بأن تعلم ان الاخوة ثلاثة ، اخ لآخرتك فلا تراع فيه الا الدين ، واخ لدنياك فلا تراع فيه الا الخلق الحسن ، واخ لتانس به فلا تراع فيه الا السلامة من شره وفتنته وخبثه (١٥٧) .

والناس ثلاثة ، احدهم مثله مثل الغذاء ، لا يستغنى عنه ، والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه فى وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء ، لا يحتاج اليه قط (١٥٨) ولكن العبد قد يتسلى به ، وهو الذى لا انس فيه ولا نفع ، فتجب مداراته الى الخلاص منه ، وفى مشاهدته فائدة عظيمة ان وفقت لها ، وهو أن تشاهد من خبائث احواله وافعاله ما تستقبحه فتجتنبه ، فالسعيد من وعظ بغيره ، والمؤمن مرآة المؤمن ، وقيل لعيسي عليه السلام من ادبك ، فقال : ما ادبنى احد ، ولكن رايت جهل الجاهل فاجتنبته ، ولقد صدق — على نبينا وعليه الصلاة والسلام — فلو اجتنب الناس ما يكرهونه من غيرهم لكملت آدابهم واستغنوا عن المؤدبين (١٥٩) .

---

(١٥٦) بقدر ما تعلم فيهم من الاخلاق ، فمن تعلم فيهم سوءا خالطهم بقدر .

(١٥٧) انت تخالطه بقدر الحاجة ، مع التحفظ من سوئه .

(١٥٨) ليس هذا التقسيم بعيدا مما سبق .

(١٥٩) لا غنى عن العلم ، وعن التعلم بمعرفة الحسن من السيء، وبه تعرف كيف تتعظ بحال الآخرين .

الوظيفة الثانية

مراعاة حقـوق الصحبة (١٦٠)

فمهما انعقدت الشركة وانتظمت بينـــك وبين شريكك الصحبة ، فعليك حقوق يوجبها عقد الصحبة ، وفى القيام بها آداب ، وقد قال ﷺ : مثل الأخوين مثل اليدين تغسـل احداهما الأخرى ، ودخل ﷺ اجمـة فأجتنى منهـا سواكين احدهما معـــوج والآخـر مســـتقيم وكان معه بعض أصحابه فاعطاه المستقيم وأمسك لنفسه المعوج ، فقال : يارســول الله أنت أحق منى بالمستقيم ، فقال ﷺ : ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا وسئل عن صحبته ، هل اقـــام فيها حق الله تعالى أو اضاعة وقال ﷺ : ما اصطحب اثنـــان قط الا وكان أحبهما الى الله تعالى أرفقهما بصاحبه ٠

وآداب الصحبة الايثار بالمال ، فان لم يكن هذا فبذل (١٦١) الفضل من المال عند الحاجة ، والاعانة بالنفس فى الحاجات على سبيل المبادرة من غير احواج الى التماس ، وكتمـــان السر ، وستر العيوب ، والسكوت على تبليغ ما يسوءه مــن مذمة الناس اياه ، وابلاغ مـــا يسره من ثنــــاء الناس عليه ،

---

(١٦٠) بينت الوظيفة الاولى ما يشترط فى الصديق الذى تصاحبه، وهو هنا يبين ما يجب عليك نحو صديقك ٠

(١٦١) ما فضل وزاد عن حاجتك ٠

وحسن الاصغاء عند الحديث وترك المماراة فيه ، وان يدعوه بأحب أسمائه اليه (١٦٢) وأن يثنى عليه بما يعـــرف من محاسنة ، وأن يشـــكره على صنيعة فى حقـــه ، وان يذب عنه (١٦٣) فى غيبته اذا تعرض لعرضه كما يذب عن نفسه، وان ينصحه باللطف والتعريض اذا احتاج اليه ، وان يعفو عن زلته وهفوته ، ولا يعتب عليـه (١٦٤) ، وأن يدعـــو له فى خلوته فى حياته وبعد مماته ، وان يحسن الوفاء مع أهـــله وأقاربه بعد موته ، وان يؤثر التخفيف عنه ، فلا يكلفـــــه شيئا من حاجاته ، فيروح سره من مهماته(١٦٥) ، وان يظهر الفرح بجميع ما يرتاح له من مساره والحزن على نياله من مكارهه ، وأن يضمر فى قلبه مثل ما يظهره ، فيكون صادقا فى وده سرا وعلانية ، وان يبدأه بالسلام عند اقباله ، وان يوسع له فى المجلس ويخرج له من مكانه ، وان يشيعه عنـــد قيامه ، وأن يصمت عند كلامه حتى يفرغ من كلامه ، ويترك المداخلة فى كلامه ، وعلى الجملة فيعامله بمـــا يحب أن يعامل

---

(١٦٢) هذه الملاطفة مما يرسخ المودة ويبقيها ، أما اساءته بذكر اسم يكرهه ، أو بما يقول الناس عنه ، ولو كان ذلك مزاحا ، فانه مما يغير النفس ، ويوهن رابطة الصداقة .

(١٦٣) يدافع عنه .

(١٦٤) العتاب يسيء اذا كثر ، أو قدم بطريقة مسيئة ، وقد يكون فيه اصلاح له وحمله على ترك أشياء سيئة يعملها .

(١٦٥) يريح خاطره وذهنه من شغله بهذه الاعمال .

به ، فمن لا يحب لاخيــــه مثــل ما يحب لنفســه فاخوته نفاق ، وهى عليه وبال فى الدنيا والآخرة (١٦٦) .

فهـذا أدبك فى حــق العوام المجهــولين ، وفى حق الاصدقاء المؤاخين .

واما القسم الثالث وهم المعارف فاحـذر منهــم فانك لا ترى الشر الا ممن تعرفه (١٦٧) أما الصديق فيعنيك ،وأما المجهول فلا يتعرض لك ، وانما الشر كله من المعــارف الذين يظهرون الصداقة بألسنتهم . فأقلل من المعارف ما قــدرت ، فاذا بليت بهم فى مدرسة أو مسجد أو جامع أو سوق أو بلد، فيجب الا تستصغر منهم احدا ، فانك لا تدرى لعله خــير منك ، ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم فى حال دنيــاهم فتهـلك ، لأن الدنيا صغيرة عنـد الله تعالى ، صغير ما فيها ومهما عظم اهل الدنيا فى قلبك فقد ســقطت من عين الله

---

(١٦٦) هذه ثنتا عشرة صفة فى مقابلة الصفات السابقة ، ومدارها كلها على اخلاص الصحبة واظهار ما يدل عليها .

(١٦٧) يبدو فى هذا التحليل عمق الامام الغزالى ، ودقة نظره ، وهـذا يرجع الى دراسـته الفلسـفية وتجاربه ، والشخص الذى تتعرف عليه عادة ، يوازن بينك وبين نفسه ويعد عليك سيئاتك أو هفواتك ، واذا حاسبته ، أو كشفت له كثيرا من حالاتك لا يلبث ان ينقلب عدوا لك ، أو جاسوسا عليك لاعدائك .

تعالى ، واياك ان تبذل لهم دينك لتنال به من دنياهم ، فلا يفعل ذلك احد الا صغر فى اعينهم ثم حرم ما عندهم ، وان عادوك فلا تقابلهم بالعداوة ، فانك لا تطيق الصبر على مكافأتهم ، فيذهب دينك فى عداوتهم ، ويطول عناؤك معهم ، ولا تسكن اليهم فى حال اكرامهم اياك وثنائهم عليك فى وجهك واظهارهم المودة لك ، فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد فى المائة واحد (١٦٨) ، ولا تطمع أن يكونوا لك فى السر والعلن واحدا ، ولا تتعجب ان ثلبوك فى غيبتك ولا تغضب منه ، فانك أن انصفت وجدت من نفسك مثل ذلك ، حتى فى اصدقائك وأقاربك ، بل فى استاذك ووالديك ، فانك تذكرهم فى الغيبة بما لا تشافههم به ، فاقطع طمعك عن ما لهم وجاههم ومعونتهم ، فان الطامع (١٦٩) فى الاكثر خائب فى المآل ، وهو ذليل لا محاله فى الحال (١٧٠) ، واذا سألت واحدا حاجة فقضاها ، فاشكر الله تعالى واشكره ، وان قصر فلا تعاتبه ولا تشكه فتصير عدواة له (١٧١) وكن كالمؤمن يطلب المعاذير ، ولا تكن كالمنافق يطلب العيوب ،

---

(١٦٨) هم منافقون ، يداهنوك بالكلم اللين ؛ وفى انفسهم يتربصون بك دوائر السوء فلا ينبغى أن تغتر بلين قولهم ٠

(١٦٩) الطامع منهم فى صدق الصحبة ٠

(١٧٠) ذليل بطلب هذا العون منهم أو توقعه ٠

(١٧١) مادمت قد قطعت أملك فى عونه فلا تغضب اذا وجدته عند حد ما أملت ٠

وقل لعله قصر لعذر له لم اطلع عليه (١٧٢) ولا تعظن احدا منهم ما لم تتوسم فيه اول مخايل القبول ،والا لم يستمع منك وصار خصما عليك ، فاذا اخطأوا فى مسألة ، وكانوا يأنفون من التعلم منك فلا تعلمهم فانهم يستفيدون منك علما ويصبحون لك اعداء، الا اذا تعلق ذلك بمعصيته يقارفونها عن جهل منهم، فاذكر الحق بلطف من غير عنف ، واذا رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذى حببك اليهم ، واذا رأيت منهم شرا فكلهم الى الله تعالى واستعذ بالله من شرهم ، ولا تعاتبهم ، ولا تقل لهم لم لم تعرفوا حقى . وأنا فلان بن فلان ، وانا الفاضل فى العلوم ؟ فان ذلك من كلام الحمقى (١٧٣) واشد الناس حماقة من يزكى نفسه ويثنى عليها . واعلم أن الله تعالى لا يسلطهم عليك الا بذنب سبق منك فاستغفر الله من ذنبك ، واعلم أن ذلك عقوبة من الله تعالى (١٧٤) ، وكن فيما بينهم سميعا لحقهم ، اصم عن باطلهم ، نطوقا بمحاسنهم صموتا عن مساويهم ، واحذر مخالطة متفقهه الزمان ، لاسيما المشتغلين بالخلاف والجدال (١٧٥) ، واحذر منهم ،

---

(١٧٢) وهو مجرد افتراض يفترضه الشخص ليهون وقع أعمالهم السيئة عليه ، ولا يقع فى اغتيابهم .

(١٧٣) وهو يثير احقادهم وعداوتهم ، ولن يعترفوا بهذا الفضل .

(١٧٤) فان لم يكن ذلك فتذكر أن لك من الله أجرا عليه .

(١٧٥) الذين يوازنون بين المذاهب ويحاولون تفضيل بعض على بعض . وكان هذا الجدل والمناظرات فى الفروع شديدا عنيفا فى عصر الغزالى ، وكثيرا ما أدى التحيز الى مذهب دون آخر الى عداء ومشادات طويلة لا تورث الا العداوة والبغضاء .

فانهم يتربصون بك – لحسدهم – ريب المنـــون ، ويقطعون عليك بالظنون (١٧٦) ،ويتغامزون وراءك بالعيون،ويحصون عليك عثراتك فى عشرتهم ، حتى يجبهوك بها فى حال غيظهم ومناظرتهم (١٧٧) ، لا يقيـــلون لك عثرة ، ولا يغفرون لك زلـة ، ولا يســـترون لك عورة ، يحاســـبونك على النقير والقطمير (٧٨) ويحسدونك على القليل والكثير ، ويحرضون عليك الاخوان بالنميمة والبلاغات (١٧٩) والبهتـــان ، ان رضوا فظاهرهم الملق (١٨٠) ،وان سخطوا فباطنهم (١٨١) الحنق ، ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب (١٨٢) ،هذا ما قطعت

---

(١٧٦) ما يظنون أو يستنتجون أنه قد حدث منك يجعلونه أمرا مقطوعا به .

(١٧٧) هذه حال الرجل الخبيث ، يحصي على مخالطيـه زلاتهم وهفوات أعمالهم ، ويحتفظ بها فى نفسه ولا ينساها ، فاذا اختلف معهم فىأمر سردها لهم سردا كأنها فى كتاب .

(١٧٨) مثل للاشياء الضئيلة جدا ، والنقير هو النكتة فى ظهـر النواة ، والقطمير هو القشرة الرقيقة التى تلفها ، والفتيل ما يكون فى باطن شق النواة ، وما بين القمع والنواة يسمى الرقوق ، وهذه الاربعة مضرب الامثال فى التفاهة والحقارة .

(١٧٩) الوشايات وما يبلغونه من حالاتك .

(١٨٠) يتملقونك بأفواههم لا قلوبهم .

(١٨١) الغيظ والكراهة .

(١٨٢) مظهرهم مظهر النـاس ، وهم فى باطنهـم كالوحوش الضارية .

به المشاهدة على اكثرهم ، الا من عصمه الله تعالى ، فصحبتهم خسران ، ومعاشرتهم خذلان ..

هذا حكم من يظهر لك الصداقة ، فكيف من يجاهدك بالعداوة ؟

قال القاضي ابن معروف رحمه الله تعالى :

فاحـــذر عـــدوك مـــرة
واحـــذر صـــديقك الف مرة

فلربمـــا انقـــلب الصـــديق
فكـــان اعـــرف بالمضـــرة

وكذلك قال ابو تمام :

عدوك من صـديقك مسـتفاد
فلا تسـتكثرن من الصـحاب

فـان الـداء اكـثر ما تراه
يكون من الطعام او الشراب (١٨٣)

وكن كما قال هلال بن العلاء الرقي :

---

(١٨٣) كما ان كثرة الطعام والشرب مضرة بالجسم فكذلك هؤلاء

لمـــا عفوت ولم احقــد على أحد
أرحت نفسي من هم العداوات

انى احيى عدوى عند رؤيتــه
لأدفــع الشـــر عنى بالتحيـــات

واظهر البشر للانســان ابغضه
كانه قد مـــلا قلبى مـــرات

ولست أسـلم ممن لست أعرفه
فكيف اسـلم من اهل المودات

الناس داء دواء الناس تركهم
وفى الجفاء لهم قطع الاخوات

فسالم الناس تسلم من غوائلهم (١٨٤)
وكن حريصا على كسب التقيات (١٨٥)

وخالق الناس واصبر ما بليت بهم (١٨٦)
اصـم ابكم اعمى ذا تقيـــات

---

(١٨٤) جمع غائلة ، وهى المضرة البالغة .

(١٨٥) جمع تقية ، ما تتقى به الشر .

(١٨٦) مدة ابتلائك بهم .

وكن ايضا كما قال بعض الحكماء :الق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير مذلة لهما ولا هيبة منهما ، وتوقر من غير كبر (١٨٧) وتواضع من غير مذلة ، وكن فى جميع امورك فى اوسطها ، فكلا طرفى قصد الامور ذميم (١٨٨) ، كما قيل :

عليك باوساط الامور فانها
طريق الى نهج الصراط قويم

ولاتك فيها مفرطا او مفرطا
فان كلا حال الامور ذميم (١٨٩)

ولا تنظر فى عطفيك ، ولا تكثر الى ورائك الالتفات ، ولا تقف على الجماعات ، واذا جلست فلا تستوفر (١٩٠) ، وتحفظ من تشبيك اصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك ، وتخليل

---

(١٨٧) التوقر يعنى الترفع عن سفاسف الاعمال ، وصغائرها ، وهو احترام للنفس لا كبر معه .

(١٨٨) طرفا أى أمرهما الافراط والمبالغة فيه ، أو التفريط . الاضاعة .

(١٨٩) الرواية المشهورة الذائعة هى : كلا طرفى قصد الامور ذميم ، وفى الحديث : خير الامور أوساطها .

(١٩٠) لاتكن متاهبا للقيام ، فهذا يسيء الجماعة ، ويشعرهم بنقصهم فى عينيك .

أسنانك ، وادخال اصبعك فى انفك (١٩١) ، وكثرة بصاقك ونخمك ، وطرد الذباب عن وجهك ، وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس فى الصلاة وغيرها (١٩٢) ، وليكن مجلسك هادئا ، وحديثك منظوما مرتبا ، واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط ، ولا تسأله اعادته ، واسكت عن المضاحك والحكايات (١٩٣) ، ولا تحـــدث عن اعجابك بولدك وشـــعرك وكلامك وتصـــنيفك وســـائر ما يخصك (١٩٤) ولا تتصنع تصنع المـــرأة فى التزين ، ولا تتبذل تبذل العبد (١٩٥) وتوق كثرة الكحل والاسراف فى الدهن ، ولا تلح فى الحاجات (١٩٦) ، ولا تشجع أحدا على الظلم (١٩٧) ، ولا تعلم أحدا من أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك ، فانهم ان راوه قليلا هنت عليهم ،

---

(١٩١) كثرة الحركات فى المجالس مما يذهب هيبة الشخص .

(١٩٢) هـــذه كلها من آداب الليـــاقة التى تدعو اليها التربية الحديثة .

(١٩٣) كل هذا مما يذهب بهيبة الشخص ، ويجرىء الناس عليه

(١٩٤) فهذا مما يثير أحقاد الناس عليك .

(١٩٥) ليكن مظهرك مقبولا غير مبالغ فيه ، لا تظهر فى ملابس مبتذلة كالخدم ، ولا تبالغ فى تزينك كالنساء .

(١٩٦) لا تلحف فى سؤال ما تريد ، فان هـــذا يظهر مذلتك وهوانك .

(١٩٧) بعض الناس يتملقون الحكام بالثناء على كل أعمالهم ، فيشجعونهم على الظلم .

وان رأوه كثيرا لم تبلغ قط رضاهم (١٩٨) ، واجفهم من غير عنف ، ولن لهم من غير ضعف ، ولا تهازل امتك ولا عبدك ، فيسقط وقارك من قلوبهم ، واذا خاصمت فتوقر، وتحفظ من جهلك وعجلتك (١٩٩) ، وتفكر فى حجتك ، ولا تكثر الاشارة بيدك ، ولا تكثر الالتفات الى من وراءك ، ولا تجث على ركبتيك (٢٠٠) ، واذا هدا غضبك فتكلم (٢٠١) .

واذا قربك السلطان فكن منه على حد السنان (٢٠٢) ، واياك وصديق العافية (٢٠٣) ، فانه أعدى الاعداء ، ولا يجعل مالك اكرم من عرضك (٢٠٤) .

---

(١٩٨) هذا كان بحسب زمنه ، ولكن الزوجة والاولاد شركاء للرجل فى ماله ، وقد طلب فى الاحياء أن يؤاخى الرجل ابنه

(١٩٩) لا تبالغ فى خصومتك ، فقد يحملك ذلك على الافتراء والاختلاق ، وقد ترجع عنها بعد حين .

(٢٠٠) لانها جلسة تنافى الوقار والكمال

(٢٠١) لان الغضبان قد يهذى بما لا تليق ، ويحسن أن يقوم الشخص فيتوضا ويصلى ركعتين .

(٢٠٢) كن على حذر ، ولا تغتر بتقريبه اياك ، ولا تتدخل فى خصائصه . الحكام ينقلبون فجاة .

(٢٠٣) الصديق الذى يصاحبك فى حال يسرك ويتخلى عنك عند الحاجة .

(٢٠٤) هذه وصية مشهورة معروفة من قديم .

فهذا القدر يا فتى ـ يكفيك من بداية الهداية ، فجرب بها نفسك ، فانها ثلاثة أقسام ـ قسم آداب الطاعات ، وقسم فى ترك المعاصي ، وقسم فى مخالطة الخلق ، وهى جامعة لجمل (٢٠٥) معاملة العبد مع الخالق والخلق ، فان رايتها مناسبة لنفسك ، ورأيت قلبك مائلا اليها راغبا فى العمل بها فاعلم انك عبد نور الله تعالى بالايمان قلبك ، وشرح به صدرك ، وتحقق ان لهذه البداية نهاية ، ووراءها أسرارا واغوارا وعلوما ومكاشفات (٢٠٦) ، وقد اودعناها كتاب « احياء علوم الدين » فاشتغل بتحصيله . وان رأيت نفسك تستثقل العمل بهذه الوظائف وتنكر هذا الفن من العلم وتقول لك نفسك : انى ينفعك هذا العلم فى محافل العلماء ، ومتى يقدمك هذا على الاقران والنظراء ؟ وكيف يرفع منصبك فى مجالس الامراء والوزراء ، وكيف يوصلك الى الصلة والارزاق ، وولاية الاوقاف والقضاء ؟ فاعلم أن الشيطان قد أغواك وانساك متقلبك ومثواك ، فاطلب لك شيطانا مثلك ، ليعلمك ما تظن انه ينفعك ويوصلك الى بغيتك (٢٠٧) ، ثم انه قط لا يصفو لك الملك فى

---

(٢٠٥) لمجمل وخلاصة المعاملة .

(٢٠٦) معطوف على اسم ان .

(٢٠٧) يريد انك فى هذه الحالة لست من المهديين ، بل انت أقرب الى الشياطين ، فابتعد عمن ينشدون الهداية فلست منهم فى شيء .

محلتك (٢٠٨) ، فضلا عن قريتك وبلدتك ، ثم يفوتك الملك المقيم والنعيم الدائم فى جوار رب العالمين .

(والحمد لله رب العالمين)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، والحمد لله أولا وآخرا ، وظاهرا وباطنا . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وصلى الله على سـيدنا محمد وآله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا .

---

(٢٠٨) لا يصفولك الجاه ، ولا متاع الحياة الدنيا فى بيتك .

محتويات الكتاب

الموضـوع | الصفحة

القسم الأول

فى الطاعات

رقم الايداع ١٩٦٠ لسنة ١٩٨٣

مطبعة حسان
٢٤١ أ شارع الجيش
ت : ٨٣٣٥٤٠